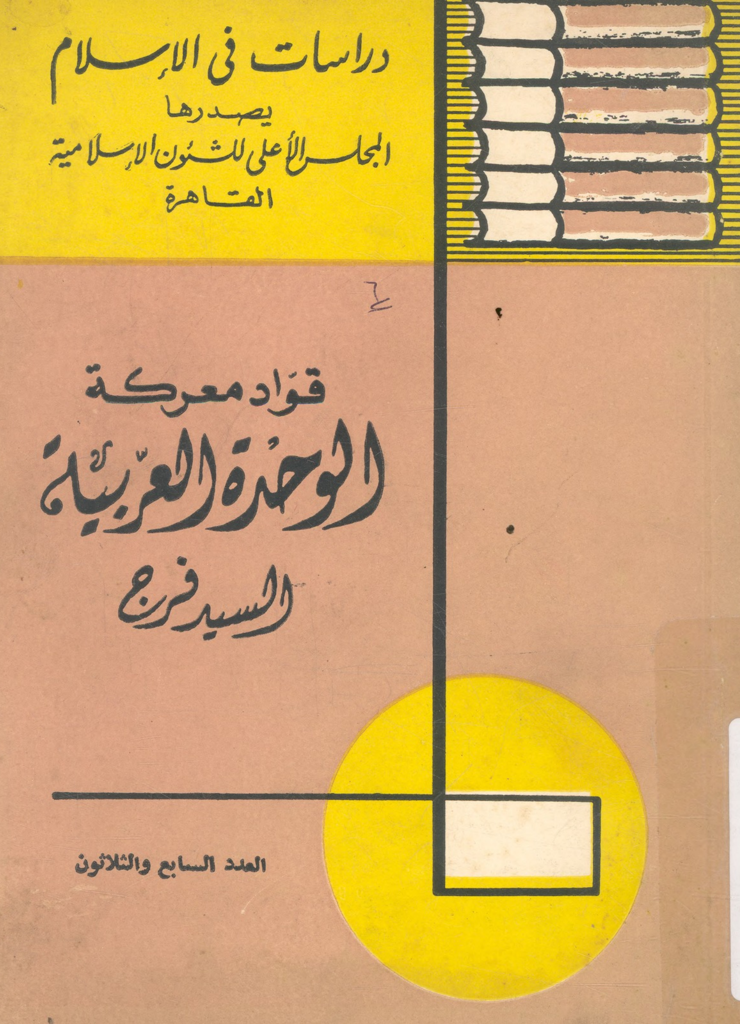


دراسات فى الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

القاهرة

قواد معركة الوحدة العربية

السيد فرج

العدد السابع والثلاثون

دراسات فى الإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قواد معركة
الوحدة العربية

السيد فرج

« ٣٧ »
السنة الرابعة
١٥ من ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ
٢٣ من أغسطس ١٩٦٤ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



إنهم قواد أذكياء أقوياء آمنوا بربهم
وأخلصوا لوطنهم وقادوا جيوشهم الظافرة
في حروب التحرير وفي معارك الوحدة العربية
فبهروا العالم بما كانوا عليه من شجاعة
وبراعة، وسجل لهم التاريخ صفحات
مجد وفخار

* * *

قُوّادُ معركةٍ وُرَّادُ مَهلكة
أوتادُ مملكةٍ آساد مُخْتَرَبِ

لا الصَّعبُ عندهُمُ بالصعب مَركبُه
ولا المُحالُ بمستعصٍ على الطَّلبِ

ولا المصائب إذ يُرمى الرجالُ بها
بقاتلاتٍ إذا الأَخلاقُ لم تُصَبِ

« شوقي »

صور حيّة
من البطولة العربية

تقديم

أنور السادات

رئيس مجلس الأمة

تاريخ العرب زاخر بالمجد ، حافل بصور البطولة ، فمن هـذه الجزيرة غير ذات الزرع خرج على الزمان ابطال ملأوا سمع الدنيا وشغلوا الناس ، وكان محمد بن عبد الله المثل الأعلى للبطولة ، بطولة الفكر ، وبطولة الخلق ، وبطولة الجهاد ، وكان أصـحابه الذين تبعوه بايمان يرون فيه نموذج الكمال البشرى ، فاهتـدوا بهديه وصاروا على طريقته ، فلمعت منهم أسماء سيظل يفخر بهـا التاريخ •

وكان من ابرز هذه الاسماء القواد الذين صحبوه ، لقد حاربوا فى الشرك أبطالا ، حتى اذا فتح الله صدورهم الى الاسلام تضاعفت بطولتهم ، وحاربوا فى صفه صناديد •

وكان الواحد منهم كما وصفهم الرسول واحدا بألف ، فما وهنوا وما استكانوا حتى تم لهم النصر وأصبحت كلمة الاسـلام هى العليا وكلمة الشرك هى السفلى ، وحملوا راية الدين الحنيف حتى كانت لهم دولة ولا كل دولة •

ويزيد فى عظمة هؤلاء الابطال انهم لم يتلقوا فنون الحرب فى مدرسة بل علمتهم البادية وحدها ، وكانت لهم مواهب جبـارة وذكاء لماح ، فحاربوا مبتكرين لا مقلدين ، وعرفـوا للحرب آدابا

ملؤها الشرف النبيل ووضعوا لها تقاليد بطولة وفروسية اين منها فروسية الغرب فى عصوره الوسطى التى تغنى بها الكتاب ؟ •

وجاء الاستعمار الى بلادنا فغشى ابصارنا بغشاوة جعلتنا لا نرى المجد الا من صنعه ولا نعرف البطولة الا فى قواده ، واصبحنا نعرف عن هانيبال القرطاجنى والاسكندر المقدونى اكثر مما نعرف عن خالد بن الوليد وابى عبيده بن الجراح ، ثم اذن الله للشعوب العربية ان تنهض من كبوتها وان تسترد عزتها وكرامتها واستقلالها ، فكان لزاما عليها ان تبعث مادفنه الاستعمار من تراثها ، وكان حريا بها أن تقدم للأجيال الصاعدة صورا حية من البطولة العربية ، ومثلا عالية للفدائية الاسلامية ، حتى تربط بين حاضرها المرموق ، وماضيها التليد •

وليس هذا الكتاب سوى باكورة هذا العمل الجليل ، وانى لارجو ان يجد لدى القارىء صدى يتناسب مع الروح التى أملت على صاحبه كتابته ، وأن يوفق مؤلفه الى اخراج كتب أخرى فى الموضوع ، تكشف عن عظمة العرب وبطولتهم •

والله ولى التوفيق •

((انور السادات))

* * *

سيف الله
خالد بن الوليد

« لقد شهدت مائة زحف أو تزيد ، وما فى
بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة ،
وها أنذا أموت على فراشى حتف أنفى ، كما
يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء »

خالد

يكثر كتاب الغرب من التحدث عن قادتهم المشاهير في جميع العصور فيحملون الى جيل بعد جيل مناقب هؤلاء القادة وخططهم ووقائعهم ، ويجد النشء في هذه السير الحافلة مثلا عليا يعجب بها وينسج على منوالها ، فيظل النور منبعثا من الماضي يضيء الطريق للسائرين نحو مستقبل أفضل .

وأخذنا نحن عن كتاب الغرب مؤلفاتهم ومراجعهم فألفيناها حافلة بما يخلب العقول عن هؤلاء القادة الأعلام ، وأكثرنا من قراءة تواريخهم ودراسة حملاتهم متأثرين بما يصل الى ايدينا من هذه الكتب والمؤلفات الأجنبية .

ترى احدنا يتلهف على قراءة كتاب عن الاسكندر المقدوني أو هانيبال القرطاجني ، وترى آخر ينتظر في شوق الى كتاب اعلن عن صدوره يتناول حملات اليونان أو الرومان أو الفرنسيين .. وكان التفوق في الحرب من شأن الغرب وحده ، وكأن القادة العظام لم ينشأوا الا في الغرب فحسب .. !؟

واو فطن أبناء العربية الى مافي تاريخ بلادهم العريق من آيات بينات سطرتها لسيوف ابائهم ، وبراعة وعبقرية سجلتها اعمال قادتهم ، لكان خيرا لهم ان يقبلوا على صفحات المجد والفخار التي حفل بها كتاب الأمة العربية ، فاذا هم امام أعظم القادة وابرع الخطط واسمى المبادىء وانصع الصفحات .

وقد يكون لقراء العربية بعض العذر فى قلة علمهم بحروب العرب فقد اعتدنا فى الشرق ان نهتم بما يرد لنا من الغرب ،ورأينا أن الكتب والمؤلفات الأجنبية تغرق سوقنا ، سواء بلغاتها اومترجمة أضف الى ذلك مايسبق هذه الكتب عادة من اعلان ،وما تظهر به من أناقة فى الطبع وبراعة فى الاخراج ٠

وهناك نقطة هامة ابرزها فقيد العربية الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتاب « عبقرية خالد » حيث يقول : فالصورة الشائعة فى خيال اكثر القارئين عن البادية أن حروب الصحراء لم تكن الا مشاجرات بالسيوف والرماح ، أو بالقسى والمقاليع ، لاترجع الى نظام ، ولاتنهج الى خطة ولايخلص منها مايتعلمه المتعلم ويتلقاه اللاحق من السابق ، وقوام أمرها شراذم من السطاة والمغيرين سرعان ماتقبل حتى تدبر ، وقصارى ماتعرفه من اساليب القتال ان تفر بعد الكر ، أو تكر بعد الفرار ٠

وليس فى وسع عالم من علماء الحرب فى زماننا هذا ان يأخذ عليهم خللا فى خطتهم لم يلتفتوا اليه ، أو يحصى عليهم وجها من وجوه التدبير قصروا فيه ، لأن وجوه التدبير كلها فضول بعد ان يستقيم للمقاتل :

١ ـ أهمية الاستطلاع
٢ ـ رسم الخطة
٣ ـ تنظيم الجيش فى مواقعه
٤ ـ تنظيم الجيش فى حركاته
٥ ـ اذكاء العزيمة فى نفوسه
٦ ـ اضعاف العزيمة فى نفوس عدوه

وهذه كلها هى صفوة لباب الحرب فى العصر الحاضر وفى العصور الغابرة ، وفى جميع العصور الى آخر الزمان ٠

مدرسة البادية

ينشأ القادة اليوم فى حجرات الدرس ، ولا يمكن أن نسمع فى هذا العصر عن قائد لم يتلق علومه العسكرية فى مدرسة أو اكاديمية حربية • ولعل آخر عهدنا بالقادة من ابناء الهواء الطلق كان فى الحرب العالمية الأولى حيث وصل الى مرتبة القيادة رجال من طبقة الجنود ، وقبل ذلك كان نابليون يعفى الجنرالات القدامى من مناصبهم ، ويرفع الى مرتبة القيادة جنودا شجعانا لم يقرأوا الحرب على الورق ، ولم يعرفوا وضع الخطط من الخرائط والمصورات •

وكلما عدنا الى الوراء فى دراسة الحروب والقادة وجدنا ان القيادة كانت هبة اختص بها بعض الافراد فبرعوا ، وصنعوا المعجزات التى لاتجد لها نظيرا حتى اليوم على الرغم من التغيير الهائل الذى طرأ على جميع ادوات الحرب •

وهم اليوم يدرسون فى اعجاب وتقدير معركة « أرابيلا أو كانا » بعد عدة قرون •• أما « الاساتذة » أبطال هذه المعارك فكانوا قادة بالطبيعة ، والالهام « وحساسة الحرب »

و « خالد بن الوليد » من هؤلاء القادة الذين لم تضمهم مدرسة ولم يكن لهم استاذ ، وانما كانت مدرستهم البادية ،واستاذهم الالهام •

نشأ خالد فى بنى مخزوم ، وكان والده من السادة المعدودين فى قريش ، ولم يكن نور الاسلام قد اشرق ، فنشأ خالد فى الجاهلية وحارب فى صفوفها ، ثم اضاء الله قلبه بالاسلام فى شبابه ، فصار سيفا من سيوف الله سله على المشركين •

وقد عرف خالد الحرب يافعا ، وخاض غمارها بشجاعة فائقة، وحارب ضد المسلمين ، فكان العدو المتمكن . ثم حارب مستظلا براية الاسلام ، وقائدا لقوات المسلمين ، فأظهر من البراعة فى خططه والشجاعة فى تنفيذها مايجعله فى مصاف عظماء القـــادة فخالد بن الوليد يجب أن يعتبر مثلا أعلى تتجه اليه دراسات شباب العرب فيجدون فى سيرته وصفاته وعبقريته خير مايمكن الاقتداء به والسير على منواله .

بطل أحد

نشأ خالد نشأة شباب البادية ، صحيح الجسم ، مهيب الطلعة متفوقا فى ركوب الخيل ، شجاعا مقداما ، وورث قيادة « الأعنة » وهى بمثابة قيادة الفرسان حتى اصبح قائد فرسان قريش فىوقعة أحد ضد المسلمين ، وقد ابدى فى هذه الوقعة براعة وجسارة ، فلما سنحت له فرصة ، ووجد فى صفوف المسلمين ثغرة ، قـــام بهجمة مضادة خاطفة ، فاخترق الجبهة ودار حولها واحدث فى المسلمين خسائر فادحة فانقلب ميزان المعركة . وانتقل النصر من عسكر الى عسكر ، وجرت معركة دامية رهيبة لكثرة ماسال فيها من دماء وما قضى بسببها من رجال ، حتى اشيع ان « محمـــدا وابا بكر وعمر » قتلوا وان النصر انتهى فى جانبالمشركين .. ولكن قوات المسلمين افاقت من المفاجأة ، وحاربت بايمانوبسالة وتم لهم الفوز بعد عناء .

كذلك كان خالد مصدر قوة فى صفوف المشركين ، وكاد ان يحرز لقومه الغلبة فى معركة الخندق ،ثم دخل فى دين الله ، فكان ذلك بشيرا له بالمجد ، وواتته الفرصة لقيادة جيوش الاسلام فى غزوات كبرى أبدى فيها من مهارته وعبقريته ماجعله منعظماء القادة فى التاريخ .

سيف الله

تلقى خالد من اخيه رسالة يدعوه فيها للاسلام ، ويروى ان رسول الله صلوات الله عليه قال « ما مثل خالد يجهله الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له، واقدمناه على غيره »

وأسلم خالد ، وقال :

« يارسول الله ، قد رأيت ماكنت اشهد من تلك المواطن عليك معاندا عن الحق ، فادع الله أن يغفر لى » ٠

فأجابه النبى عليه السلام : ان الاسلام يجب ، ماكان قبله الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقـــلا ، ورجوت الا يسلمك الا للخير ٠

وأصبح خالد فى صفوف المسلمين تصادفه جنود رفقائه بالأمس فى جيوش المشركين فيرمونه ويرميهم ، حتى تم للاسلام النصر المبين ، ثم حارب خالد عرب الجزيرةوعرب العراقوالشام .وجيوش الفرس والروم ، فاتسع مجال قيادته ، وازداد اشراق عبقرية ٠

القيادة البصيرة

كان اول قتال يشترك فيه خالد بعد اسلامه هو حملة « سرية مؤتة » التى جردها الرسول عليه السلام الى البلقاء لتأديب المعتدين الغسانيين ، وفى هذه المعركة قتل القادة الثلاثة : زيد بنحارثة ، وجعفر بن ابى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فاجتمعت الكلمـــة على تنصيب خالد بن الوليد قائدا ٠ فنظر فاذا هى معركة غـــير متكافئة وقد منى المسلمون بالهزيمة وكثر عليهم اعداؤهم ، فلـــم تملكه فطرة المجازفة ، وانما ملكته فطرة القيادة البصيرة فاصطنع الاستعداد للهجوم ، وأوقع فى روع عدوه انه سيقاتل من غده ،

فلما كان الغد كان جيش المسلمين قد قام بعملية انسحاب متقنة ، وارتداد مأمون ، ونجا مما كان قد ألم به من هزيمة وضياع •

وقد أمن خالد جيشه عند انسحابه بقتال المؤخرة حتى يضمن له السلامة ، وأبلى فى ذلك القتال حتى اندقت فى يده تسعة سيوف ، وعرف من ذلك اليوم بلقبه الذى أضفاه عليه النبى وهو : سيف الله •

غزوة حنين

نفرت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم ، وقامت الى شق عصا الطاعة ، وأعدت العدة لمهاجمة المسلمين ، وولت قيادتها فتى جريئا فى سن الثلاثين هو : مالك بن عوف النضرى الذى خرج بالقبائل بكليتها ، أى برجالها ونسائها وابنائها وممتلكاتها لكى يجعل المحاربين يتماسكون ذودا عن أهليهم وأموالهم ، ويقاتلون قتالا باسلا مستميتا •

وفى المعسكر الآخر ، كان خالد على طليعة الجيش فى مائة فارس •

وجاء فارس (من المخابرات) يقول : انه صعد جبلا ، فاذا بهوازن على بكرة أبيها بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين •

فتبسم الرسول وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله ، وأرسل « نقطة ملاحظة » فى أعلى الجبل . ودعا أفرادها الى اليقظة ، ثم جاء اليوم الثانى فقال انه لم ير أحدا من العدو ، فبعث الرسول مقدمة . وفجأة قام العدو من مكمنه الذى أحسن الاستتار فيه وهاجم بشدة . وكسب الجولة الاولى من القتال بفرار الخيل والجمال ولحاق المشاة بهم ، وكادت الهزيمة تتم لولا أن تقدم الرسول بشخصه الكريم وثبت فى هذا الهول الجارف وأخذ زمام

المعركة كلها فى يذيه فتجمع حوله المقاتلون واستبسلوا فى القتال ، وبدأوا الكر بعد الفر وهانت النفوس . وفى هذه المعركة سقط خالد مثقلا بالجراح .

وقد أوشك المسلمون أن ينهزموا لاعتدادهم بكثرتهم وقلة مبالاتهم بعدوهم ، ومن ناحية فان عدوهم كان ماكرا ، بدأ يحشد الروح المعنوية الى أقصاها ، ثم استخدم المفاجأة فكانت له الغلبة ، وقد وصفت هذه المعركة فى القرآن الكريم : « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة التى كادت تودى بجيش المسلمين اولا أن تداركته العناية ، لقى خالد تقدير النبى عليه السلام ، فبارك له وواساه .

حروب الردة

اشترك خالد فى حروب الردة من أوائلها الى نهايتها ، وكانت البادية قد ارتدت عن الاسلام بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام . ووقفت المدينة تساندها مكة وجيرتهما ـ تدافع عن حياضها وعن عقيدتها ، فأوهنت هجمة المرتدين الاولى عن معقل الاسلام ، وكان عنصر المفاجأة مدار هذه المعركة ، فكان المرتدون يتوقعون لقاء الجيش فى المدينة ، ولكن الخليفة كان قد خرج بمن معه فى الليل على تعبئة كاملة ، وهبط على المرتدين وهم على غير أهبة ، فلم يلبثوا حتى انهزموا وتفرقوا .

ثم كان لخالد نصيب القيادة على الحملة الموجهة الى «بزاخة» لقتال المرتدين ، وقد ودع الخليفة هذه الحملة فقال : « أيها الناس ، سيروا على اسم الله وبركته ، فأميركم خالد بن الوليد » .

وأسر الخليفة الى خالد بأوامره : « فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن الحملة فانى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد وسر بالادلاء وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل ، وسر فى أصحابك على تعبئة جيدة . واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فان للعرب غرة .. واذا لقيت أسدا وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك ، وبعضهم لا عليك ولا لك ، متربص السوء ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة .. سر على بركة الله » .

أما جيش طلحة فقد امتاز بكثرة العدد والسلاح وباختيار الأرض فهو فى موقف دفاعى ينتظر جيش خالد الذى يقطع الفيافى ، فلما التحم الجيشان ثبت طلحة وأصحابه ثبات المستميت وكروا على المسلمين كرة عنيفة ، فكشفوا الميمنة ثم الميسرة حتى لاح لهم النصر وجاء بعض رجال خالد ينصحونه بالتراجع ليعتصم بجبال طىء ، فقال خالد : « لا أعتصم بغير الله » .

هازم الفرس والروم

خرج العرب للقاء الفرس والروم ، فكانت معركة أحد طرفيها اليقين والعزيمة ، وطرفها الآخر الكثرة والهيئة .

حارب خالد الفرس فى خمس عشرة موقعة لم يهزم ولم يخطىء ولم يفشل قط فى واحدة منها ، وكان يسير بجيشه أبدا على تعبئة كاملة فيقاتل عدوه حيث لقيه مفاجئا أو غير مفاجىء ، وكان — كما وصفه عمرو بن العاص — « فى أناة القطاة ووثبة الاسد » فلا يهمل الحيطة ، ولا يجعل التعويل كله على الشجاعة دون الحزم والحيلة .

وكان خالد يعمل بمبادىء الحرب — قبل نابليون بمئات السنين — فهو يكون فى كامل (الحشد) فى الزمان والمكان

الحاسمين ، وهو لا يسرف فى استخدام رجاله . فاذا كان ألف رجل يغنى عن الفين بعث بهم مطبقا مبدأ « الاقتصاد فى القوة » ، وهو يبعث العيون والطلائع ، ويرسل المقدمة ، أو يضع رجالا فى اعلى الجبل للمحافظة قاصدا « الوقاية » وهو يقبل على الموت بروح هجومية غلابة ، لعلمه بأن النصر يطلب « الاعمال التعرضية » ثم انه يوحى الى خصمة بغير ما ينوى حتى يستخدم الماجأة .

ومما يذكر لخالد فى مقام الثقة بالنفس ، وهى من دعائم القيادة ، انه كتب لقائد الفرس قبل المعركة يخيره بين الاسلام أو الجزية أو الحرب ، ويقول : « جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » .

فلما طلب قائد الفرس مبارزته نزل اليه خالد وصرعه فى الحال .

وعندما التقى الجيشان انتصر العرب فى وقعة «ذات السلاسل» وهرب الفرس ، ثم اشتبكا فى وقعة القار التى بلغ قتلى الفرس فيها ثلاثين الفا وهرب الباقون ، وكان ذلك نصيب الباقين فى وقائع « الوجه » و « أليس » و « الفراض » من وقائع حرب العراق التى قضت على نفوذ الشاهنشاه الاعظم !.

وقال ابو بكر : « عقمت النساء أن يلدن مثل خالد » .

وقال فى موضع آخر : « لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .

قاهر هرقل

خرج خالد على رأس عشرة آلاف محارب من الحيرة وقطع بادية العراق وهى مفازة « لا يصاب فيها ماء ، مع مضلتها » فقطع المسافة فى ثمانية عشر يوما ، وكان يطوى مسافة اليومين فى يوم واحدا .

وقد اختار خالد أطول الطرق وأشدها صعوبة ، وأبعدها عن تصور العدو ، لكى يضمن عنصر المفاجأة ، ولكى لا يتعرض لمعترض من أهل العمران على الطرق الأخرى الميسورة .

وكانت المعركة الاولى فى اجنادين ، والمعركة الكبـــرى فى اليرموك ، وهى من أشهر الوقائع الفاصلة فى حروب العرب .

ولا ريب أن هذه المعارك كانت بين ندين يختلفان فى كثير ، ففى جانب كان رجال البادية البسطاء الشـجعان الذين يقبلون على الموت وفى الجانب الآخر كان رجال القيصر الغارقون فى المنـاعم واللذات ، وقال خالد « هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم ، وارضوا الله بعملكم ، فان هذا اليوم له ما بعده » .

وهزمت الروم .

وبلغ خالد فى معركة اليرموك قمته العليا التى لا مرتقى بعدها لراق .. قمع فتنة الردة ، وضرب دولة الاكاسرة ، ووحد قيادة المسلمين ، وهزم الرومان ، وكان صاحب دور تاريخى يضعه بين عظماء القادة .

وهو قائد لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال وهى الشجاعة والنشاط والجلد وحضور البديهية واليقظة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير .

وقد نفذ خالد مبادىء الحرب قبل أن يعرفها القادة فى عهود المدنية الحديثة ، فاذا ذكرتم أسماء الاسكنـدر وهانيبال وقيصر ونابليون .. فارجعوا الى تاريخ العرب واذكروا مع هؤلاء .. أو قبل هؤلاء .. خالد بن الوليد .

القائد القوي الأمين
أبو عبيدة بن الجراح

قائد من الطراز الاول ، وبطل من أبطال العروبة والاسلام ، وصفه النبي - صلى الله عليه وسلم بانه القوي الامين ، وقال عنه : « أبو عبيدة أمين هذه الامة » .

موقفان فيهما غنى عن الكثير من أمثالهما فى حياة هذا الجندى الكبير والمسلم العظيم ، ينمان عن ايمانه وامانته ، ويكشفان عن متانة تكوينه وعظمة نفسه وعلو همته .

فى الموقف الاول نرى أبا عبيدة قائدا لجيوش المسلمين فى الشام — على عهد الخليفة الصديق — وقد طالت الوقفة عند « اليرموك » فقرر أبو بكر أن يقوم بعمل حاسم عند الروم وقال : « والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » ، وبعث خالدا من العراق الى الشام أميرا على مجموعة الجيوش العربية ، فصدع أبو عبيدة بالامر وتقبله بالرضا وحارب تحت امرة خالد وقال : انه غير مفتون بالدنيا .

وفى الموقف الثانى نرى أبا عبيدة أحد قواد خالد فلما ولى الخلافة عمر بن الخطاب قرر عزل خالد فبعث الى ابى عبيدة أمرا بتعيينه قائدا عاما « فاخفى ابو عبيدة الخبر وصار فى مكانه خلف خالد حتى تم فتح الشام ، وقد سئل عن عدم أخذه بلواء القيادة فورا ، فقال : « ما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل » .

امين الامة

نشأ أبو عبيدة فى الجاهلية عزوفا عن طباع أهل الجاهلية ، ولم تعرف عنه سوءاتهم وسقطاتهم ، فكان شابا مستقيما مفكرا أمينا ، اشتغل بالتجارة فجاب الأقطار وبرز بين لوائه موفور العزة

نظيف السيرة صافى الروح ، حتى اذا أشرق فجر الاسلام تفتح له قلبه ، وطابت نفسه ، وأسرع الى صديقه أبى بكر يستمع اليه ويفكر معه ، فتكشفت له حياة الجاهلية بضلالها وكفرها ، وظهرت له الدعوة المحمدية بجلالها ، فلما سأله أبو بكر :

يابن الجراح ، هل اهتدى قلبك ، واهتدى عقلك ؟ .

قال : أجل يا أبا عبد الرحمن « هيا بنا الى صاحبك ، فانه ليدعو الى الخير ، وانه لرسول رب العالمين » .

ودخل أبو عبيدة فى دين الله ، « وكان ثامن من أسلم » ، وصاحب الرسول مصاحبة الحب الكامل والامتزاج التام ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « لكل أمة أمين ، وأمين أمتى أبو عبيدة » .

الهجرة الى الحبشة

اهتزت الجزيرة العربية لخبر الدعوة المحمدية ، وثارت قريش وأمضت فى الثورة ، فصارت تضطهد المسلمين وتمعن فيهم تعذيبا وتشريدا واعتداء فرأى النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يهاجر المسلمون الى مكان أمين حتى ينجوا بدينهم ويضيعوا على خصومهم فرصة القضاء عليهم ، فبدأت الهجرة الى الحبشة وكان فى مقدمة المهاجرين أبوعبيدة وعثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وقد حملوا الى النجاشي رسالة الاسلام فطمأنهم وآواهم وجعلهم فى حمايته ، وبقى أبو عبيدة فى الحبشة حتى تمت هجرة النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة وتكونت الثورة الاسلامية ونزلت آيات الجهاد ، فعاد الى المدينة وهى تستعد لأولى معارك الجهاد فى معركة بدر الكبرى .

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

من الموعودين بالجنة

دخل أبو عبيدة المعركة مكتمل العقيدة ، موفور الايمان ، واندفع فى معمعاتها يعمل سيفه فى اعداء الله ، فأبلى خير البلاء ، وتعرض لموقف شاذ عجيب تأرجحت فيه نفسه بين الواجب والعاطفة واختبر ايمانه وامتحنت عقيدته ، فقد وجد أباه فى مواجهته . الابن فى صفوف المسلمين والاب فى صفوف المشركين .

ونظر أبو عبيدة ، فاذا أبوه مقبل عليه يعتزم الالتقاء به والقضاء عليه ، فيالرهبة الموقف ، ويا للحادثة الشنعاء التى لا مندوحة عنها .. ورأى الرجل المؤمن النبيل جلال الابوة ورهبة الدم فنأى عنه جانبا ، ولكن عبد الله بن الجراح كان ثائرا على الدعوة ، ممعنا فى محاربتها ، حانقا على ابنه الى أبعد الحدود ، حتى لقد صمم على قتله بيده .

والتقى الابن والاب فى معركة فريدة من نوعها ، معركة أحد طرفيها ابن مسلم بار ، وطرفها الآخر أب وثنى جاهلى لا يعرف الرحمة ، والتقى السيفان ، ومزق أبو عبيدة قلب والده ، فضرب أروع الأمثال ونزلت الآية الكريمة :

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » .

فى مركز الخطر

كان أبو عبيدة يحارب عن عقيدة ، فهو لم يسع قط الى مغنم شخصى ، ولم يفكر فى أن تكون له قيادة أو رياسة ، بل كان بتفكيره وجهاده وعمله كله لله ، ولنصرة دين الله ، فاما أن ينتصر ، واما أن يلاقى ربه شهيدا وهذا هو سر بطولة المسلمين الاوائل ، ولهذا

كانوا يندفعون فى القتال بلا رهبة ولا خوف ، فكان أبو عبيدة ، فى مركز الخطر أقرب ما يكون الى العدو ، فلما دارت على المسلمين الدائرة فى أحد ، وانفلت زمام المعركة وكادت النكبة تحل ، ظهر أبو عبيدة فى ساعة الشدة جنديا جبارا ، واندفع الى جوار النبى يدفع عنه الاذى ويتلقى عنه الضربات ، ويقدم نفسه فداه .

قال أبو بكر :

« لما كان يوم احد ورمى رسول الله فى وجهه حتى دخلت فى وجنتيه حلقتان من المغفر ، فاقبلت أسعى الى الرسول ، وانسان قد أقبل من المشرق يطير طيرانافقلت اللهم اجعلهطاعة حتىتوافينا الى رسول الله، فاذا أبوعبيدة قد بدرنى قائلا: أسألك بالله ياأبابكر الا تركتنى فأنزعه من وجنة رسول الله فأخذ أبو عبيدة بثنيته احدى حلقتى المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيته . ثم أخذ الحلقة الثانية بثنيته الاخرى فأخرجها وسقطت ثنيته ، فكان أبو عبيدة فى الناس أثرم ، وكان أحسن أهتم خلق » .

تطاوعا ولا تختلفا

وكان أبو عبيدة من أبطال السرايا ، بعثه رسول الله ومعه أربعون رجلا الى ذى القصة ، فغاب ليلتين ، وعاد بأسرى ونعم ومتاع .

وذهب لامداد عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل ، وكان رسول الله قد عقد له لواء ، وجعل معه سراة المهاجرين والأنصار فىمائتين وأمره أن يكون وعمرا معا فلا يختلفا ، فلما لحق بعمرو أراد ابو عبيدة أن يؤم الناس فقال له عمرو : انما قدمت مددا لى ، وليس لك أن تؤمنى وأنا الامير ، فقال المهاجرون وفى طليعتهم أبو بكر وعمر : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أميرنا فقال عمرو : انما انتم أمددت بكم فأنا القائد .

وهنا حسم أبو عبيد الموقف فقال فى سماحة ورضا :
« انظرن يا عمرو ، تعلمن أن آخر ما عهد الى رسـول الله أن قال : اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا ، وانك والله ان عصيتنى لأطيعنك » .

القوى الامين

قدم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعـد عامين من الهجرة وفد نجران من المسيحيين ذوى الشأن يبحثون معه الموقف ، فعرض عليهم الرسول الاسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، ودارت أحاديث حول العقائد ، ثم طلبوا من الرسـول أن يبعث معهـم رجلا من أصحابه قويا أمينا يأخذ له الحق ويعطيناه ويحكم بيننا فى اشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضا » .

فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين » .
روى ابن هشام أن عمر بن الخطاب كان يقول : « ما أحببت الامارة قط حبى اياها رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت الى الظهـر مهجرا ، فلما صلى بنا رسـول الله ونظر يمنة ثم يسرة فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ، فدعاه فقال « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » .

فكان هذا الاختيار شهادة نبوية لم يلقهـا أحد ، وما كان ذلك الا لأن ابن الجراح جمع بين الأمانة ولين الجانب ورضى النفس .

اتته الخلافة

لما انتقل النبى ـ صلوات الله عليه ـ الى الرفيق الأعـلى بدأت مرحلة دقيقة فاصـلة فى تاريخ الاسلام والمسـلمين .. واهتزت الجزيرة لهذه الطامة الكبرى ، واضطربت الأفكار وحارت فيمـا

سينتهى اليه الامر ،واجتمع المهاجرون والأنصار يوم السقيفة ، ودارت المحادثات فيمن يخلف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا الأنصار الى أن تكون الخلافة لزعيمهم سعد بن عبادة • ثم قال قائل : منا امير ومنكم أمير ، وبلغ ذلك الصحابة ، فانطلقوا جميعا الى سقيفة بنى ساعدة لحضور أخطر مؤتمر فى تاريخ الاسلام •

وأتى عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح فقال : « ابسط يديك لأبايعك ، فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله •

فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فهة « أى سقطة » قبلها منذ أسلمت •• أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين ؟

فأرسل عمر الى أبى بكر وأبلغه ما كان من اتجاه الأنصار الى تولية سعد بن عبادة وقول أحدهم : منا أمير ومن قريش أمير •

قال أبو بكر : لقد رضيت لكم أحد الرجلين « عمر ـ وأبو عبيدة » ••

أما أبو عبيدة ، فسمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وأما عمر فسمعت رسول الله يقول « اللهم أيد الاسلام بعمر أو بأبى جهل » ••

ثم أخذ أبو بكر بيد عمر وبيد أبى عبيدة ، ولكن أحد الأنصار قال :

« منا أمير ومنكم أمير » وانتضى سيفه وهتف « نحن أهل العزة والثروة وأولى العدد والمنعة والتجربة وذوى البأس والنجدة •• » •

وهنا وثب اليه عمر وأسقط من يده السيف •

وبدأ أبو عبيدة يتكلم ـ وكانت له هيبة ومحبة ـ فقال :

يا معشر الأنصار ، كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول بدل وغير ••

واستدرجهم أبو عبيدة ، حتى لان جانبهم وظهر رضـــاهم .
وانتهز عمر بن الخطاب هذه الفرصة فصاح :

« يا أبا بكر امدد يدك أبايعك ، فبايعه عمر ، ثم بايعه أبوعبيدة وهو يقول : « انك أفضل المهاجرين و (ثانى اثنين اذ هما فى الغار) وخليفة رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ على الصلاة فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك .

وزير المال

كان أبو بكر خبيرا بالرجال ، فوضع الرجل اللائق فى المحـــل اللائق .. جعل خالدا أميرا للجيوش ، وسلم الى عمر بن الخطاب أمور القضاء ، وولى أبا عبيدة بيت المال ، فكان ينظـــر فى الخراج والصدقة ويقوم بالانفاق على مصالح المسلمين ، وتفقات الجيوش ، حتى اذا ثبت دعائم بيت المال ، وقضت الضرورة برسالة جديدة ، انتقل وزير المال الى ساحة القتال .

فاتح الشـــام

أمر أبو بكر بالتعبئة العامة ضد الروم ، وجمع لأجنـــاده خير القادة فجعل على الجيش الأول يزيد بن أبى سفيان ، ووجهته شرق الاردن ، وعلى الثانى شرحبيل بن حسنة ووجهته البلقاء ، وعـــلى الثالث عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وعلى الجيش الرابـــع أبا عبيدة ووجهته حمص .

وقال أبو بكر لقواده اذا اجتمعتم فقائدكم أبو عبيدة .

وتعتبر وصية الخليفة الصديق من أروع ما أسفرت عن تعاليم القيادة وتوجيهات القادة العظام .. قال :

اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك فى سيرك ..
ولا تغضب على قومك وشاورهم فى الأمر ، واستعمل العدل ، رباعد
عنك الظلم والجور ، فانه لا يفلح قوم ظلمـــــوا ، ولا نصروا على
عدوهم ..

واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا
متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقـــد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير .

واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا
طفلا ، ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ،
ولا تنقضوا اذا صالحتم .

وتحولت الجيوش العربية لفتح الشام، كانت الشجاعة والايمان
والتضحية تواجه الجند والمعدات ووفرة الاستعدادات .. وبدأت
الأرض تهتز تحت أقدام الروم : وطالت الوقفة عند اليرموك ، ورأى
الخليفة الصديق أن يبت فى الموقف فأمر بخالد بن الوليـد فتحرك
من العراق الى الشام أميرا للجيوش العربية ، وتم احـــراز النصر
المبين ..

جندى فدائى

كان أبو عبيدة هو هو .. قائداً عاما ، وقائدا ضمن التشكيل
.. لا يفتنه المنصب ، ولا تهزه المسميات ، كان رجلا يعمل بقلبـــه
وفكره وايمانه وتضحياته ، فلا ينظر الى الدنيا ولا يعمل لها .. لم
يكن قائدا محترفا ، ولا صاحب مأرب ، لم يكن من قادة أيام السلم
ولا أبطال الحرب على الورق ، وانما كان جنديا بسيطا مؤمنا بهدفه،
راغبا فى نصرة دينه ووطنه ، ولهذا لم يختلف عليه الأمر حين كان
قائدا لخالد ، وحين كان خالد قائدا له .. فلما تم له فتح الشـــام
نظم أمورها وحمى حدودها ، وأشاع فيها العدل والسلام .

وقد رغب الأعادى فى أن يدخل هو مدينتهم دون خالد، فسلموا اليه لأنه كان طيب القلب ، بسيطا ، حسن المعاملة .

ولما دخل عمر بيت أبى عبيدة لم يجد فيه الا سيفه وترسه وكسيرات من الخبز ، فبكى عمر وقال : لقد غيرتنا الدنيا جميعا الا أبا عبيدة ..!

ثم بكى عمر مرة أخرى حسرة وأسىً على الجندى الكبير والمسلم العظيم حين انتهى عمره ، وأسلم لله أمره ، وصعد الى جواره فقد أصيب بمرض الطاعون فى الشام ، وكان آخر كلماته :

« انى موصيكم بوصية ان قبلتموها لن تزالوا بخير .. أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا ، وانضموا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم النساء فان امرأ عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير الى مصرعى هذا الذى ترون ، الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم له ، وأعملهم ليوم معاده » ..



الجندى الدبلوماسى الأديب
عمرو بن العاص

فى هذه المرحلة التاريخية العظيمة التى تجتازها البلاد العربية اليوم ، يطيب للنفس أن تستعيد ذكريات الماضى المجيد .. وفى مقدمتها دخول مصر فى جامعة الوطن العربى عندما رفع عليها عمرو بن العاص راية الاسلام ولواء العروبة .

أراد الله بالبشرية الخير ، ولعباده النجاة من ظلمات الجهل والشرك فبعث محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسول صدق ، ونبى هدى ، ورحمة للعالمين ، فآمن به من شرح الله صدره للاسلام وأنكره وكفر به الجاهلون ٠٠

وكانت قريش قد هالها أمر هــذا الدين الجديد الذى جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقضى على عقائدهم ، ويودى بآلهتهم ، ويحولهم عما توارثوه وشبوا عليه من عادات وعبادات وتقاليــد ونظم ٠٠ ولهذا قابلوا الدعوة بالصد والكيد ، وأمروا بشعرائهــم وخطبائهم أن يستخدموا مواهبهم فى الهجاء والاعتداء ، وفى المطارحة والمقاومة ٠٠ وكان فى مقدمة فرسان هذه الحلبة فتى من خيرة فتيان قريش وأثبتهم جنانا ، وأشدهم دهاء وهو : عمرو بن العاص ٠

ومضت قريش فى عدوتها الى آخر الشوط ، وتطور كيدها الى الايذاء والاعتداء ، والتآمر والاغتيــال ، فاذن الله للمســلمين فى الهجرة ، وخرج أول رهط منهم يتقدمه عثمان بن عفــان فارين بدينهم الى الحبشة حيث آواهم النجاشى وأمنهم ، وأكرم وفادتهم ٠

وكانت هجرة هؤلاء النفر من المسلمين بمثابة لطمة أصابت قريشا وآذت سادتها بأول انتصار لأصحاب الدعوة المحمدية ، واستقر الرأى على ايفاد مبعوثين الى النجاشى لاقناعه بتسليم المهاجرين ، وكان طبيعيا أن يقع الاختيار فى هذه المهمة الدبلوماسية على ذلك الشاب الشاعر الذى هاجم الدعوة بأشعاره ثم جاء يجاهدها ببراعته ولباقته ..

داهية العرب

وذهب عمرو ومعه عبد الله بن أبى ربيعة الى الحبشة يحملون الى النجاشى وحاشيته وبطاريقه الهدايا والعطايا ، وراح السفير المدره يتقرب الى ملك الحبش ويستدر اهتمامه وتقديره ، ثم أنهى اليه أمر هؤلاء المارقين من دينهم ، الهاربين من قومهم ، وناشده أن يستجيب لرؤساء العشائر وصفوة القوم فى رد هؤلاء الضالين .

ولكن النجاشى كان رجلا يحافظ على كلمته ، ولا يبت فى أمر قبل أن يتحقق منه ، فأراد أن يقف على الحقيقة ويستجلى بواطن الأمر ، وجمع الطرفين فى مجلس واحد ، فتكلم جعفر بن أبى طالب عن المهاجرين وعدد أمور الاسلام وقرأ ما تيسر من سورة مريم .. فقال البطارقة : « هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح » . وقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .

وختم النجاشى المؤتمر قائلا للسفيرين :
« انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما » .
وبحث عمرو فى كنانته عن سهم جديد .

وذهب من غده الى النجاشى يحاول الايقاع بينه وبين اللاجئين عنده ، ولكن طاش سهمه اذ تبين للنجاشى بعد سماع أقوال الفريقين ان هؤلاء المسلمين يعترفون بعيسى ويعبدون الله .

فى ميدان القتال

وانتقل الشاعر السفير الى ساحة جديدة ، وهو ضـــالع فى خصومة الاسلام ، متأثر بعصبيته ، ومتمثل بأبيه العاص بن وائل الذى كان من أشد أعداء الرسول ، ومقتفيا أثر أهله بنى سهم الذين كانوا أصحاب الحكومة فى قريش قبل الاسلام .. وكانت الساحة الجديدة التى انتقل اليها عمرو فى محاربة المسلمين هى ســاحة الحرب عندما أذن الله لرسوله بالجهـاد ، ونزل قوله تعـالى :
« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

وكان عمرو من صناديد قريش، وقد اشترك فى عدة معارك ضد المسلمين فكان الخصم العنيد والعدو الماكر ، وقد جمع بين شـدة الجندية وحنكة السياسة ، وحفل تاريخه بالأحـداث والمبتكرات والمفاجآت التى تحدث بما كان عليه عمرو من بعد النظر وحسـن التقدير والتدبير ، وقد أتى بأعمال غير معهودة وأسـاليب لم يسبقه اليها أحد ، وكانت له فى الحرب كفاية تضعه فى صف كبار القادة ليس فى وقته فحسب ، وانما فى جميع العصور .

فهو لم يعرف الحرب على أنها قتـال فحسب ، ولكن الحرب عنده كجندى موهوب محنك جاهد بأساليب متعددة ، وأدوات شتى تتناول جميع الأشخاص والأشياء والوسائل ، وهو جندى ميكافللى — الغاية عنده تبرر الوساطة — ولهذا فقد أدخل فى الحرب كثيرا من ضروب الحيل والخدع والمكائد .

المرأة فى الحـرب

وعندما بدأت الحرب بين قريش والمسلمين كان عمرو مبعوث قريش لاسـتنفار العرب وتأليبهـم ، ففكر فى أمر جرىء وهو الاستعانة بالمرأة فى الحرب ، ورأى فى ذلك ما يزيد همم الرجال ،

وما يدفع المحبة فى الصدور ، فتصبح المعركة معركة دفاع عن الحمى وعن المعتقدات ، وعن الأعراض ·

ونجحت الفكرة أيما نجاح ، وخرج للقتال مع قريش ثلاثة آلاف رجل وخمس عشرة امرأة يصرخن وينحن ، ويشجعن الرجـــال ويحرضنهم على القتال ، وكن يقمن خلف الصفوف ويضربن الدفوف وينشـــدن :

نحن بنات طــارق نمشى على النمـارق
أن تقبلوا نعــانق أو تدبروا نفــارق
فــراق غير وامق

اعمال الدوريات

وفى وقعة أحد كان عمرو من أعلام المشركين فى المعـــركة هو وخالد بن الوليد ، وقد حاربا ببسالة ، وانتهزا كل فرصة للنيل من المسلمين ، وكادت المعركة تنتهى فى صالحهم ، كذلك كانا معا فى وقعة الخندق يناوشان ويناوزان ، ويلتمس كل منهما السبيل لعبور الخندق مرة بعد مرة ، ويتناوبان أعمـــال الدوريات ، وقد أوشكت حيلة عمرو أن تنجح ذات مرة ، واستطاع بهذه العمليات التهديدية المزعجة أن يؤرق أجفان خصومه ويجعل ليلهم نهارا حتى عظم البلاء واشتد المكروه ··

اسلام عمرو

وكان هذا الشاب المقدام والقائد الموهوب يعمل فكره ، ويدرس شئون زمنه فى عمق وأناة ·· فلم يكن يقدم على عمل قبـــل بحث وتمحيص وفهم ، ولذلك فانه فكر طويلا فى الدين الجديد ، وقلب

الأمر على وجوهه المختلفة ، فظهرت أمامه الحقائق وتوالت الآيات ، وشرح الله صدره للاسلام ومن حسن تدابير القــدر أنه حين خرج من مكة يريد المدينة وجد فى طريقه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ــ وقد قصدا قصده ٠٠ فدخلوا ثلاثتهم على رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فبايعه خالد أولا ٠٠ ثم عثمان ٠٠ واخيرا اقترب منه عمرو وأسر اليه بقوله :

« يا رسول الله انى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى » ٠

فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ: « يا عمرو بايع ، فان الاســلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها » ٠

وأصبح عمرو قائدا فى صفوف المسلمين ، فلمع نجمه ، وذاع صيته وواتته الفرصـــة العظمى لاظهار مواهبه الكامنـــة فى أعظم الميادين وأسمى الغايات ، وأخلد الأعمال ٠

وقد قربه النبى ــ صلى الله عليه وســـلم ــ وباركه ، وخفره وشجعه ، ودفع به الى حيث يجيد ويفيد ، فقد كان عمرو ــ كمـــا قدمنا ــ يقرن الى مواهبه العسكرية فطانة السياسى الداهية ، ولباقة الأديب الأريب ٠

فلما كانت غزوة ذات السلاسل قلده النبى ــ صلى الله عليــه وسلم ــ اللواء ، وجعله على ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يستعين بمن فى طريقه من العرب ٠٠ وذلك أن عمرا كان ذا رحم فى تلك الأنحاء ٠٠ فأراد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يتألفهم به ٠

وادرعوا الليل

وقد سبق عمرو القادة العصريين بمئات السنين عندما فكر فى القيام بالعمليات الليلية امعانا فى التستر وتجنبا للاجهاد وتحضيرا

للمفاجأة ، ففى هذه الغزوة عمل على تحويل أذهان العـــدو عن تحركاته ، فصار يكمن النهار ويسير الليل ٠

وعندما نزل بأرض جذام ـ وكان شتاء ـ أراد أصـحابه أن يصطلوا ، فمنعهم عمرو حتى لا ينكشف أمرهم بسبب النـار التى يراها الخصوم ليلا على مسافات بعيدة ، وبذلك طبق مبدأ الوقاية ٠

ولما علم بأن العدو أكثر عدة وعددا وسار فى تقدير الموقف الى ترجيح كفة الخصوم ، لم يندفع فى القتال ، ولم يقـامر بدخول معركة محفوفة بالأخطار فى ظروف دقيقة تسـتلزم الحيطة والحذر لأهمية نتائجها ٠٠ فبعث فى طلب امداد يستعين به على الموقف حتى تكتمل له الأهبة ويتم الاستعداد ٠

قائد افضل من قائدين

وقد قدر له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ موقفـه ، وبعث اليه أبا عبيدة عامر بن الجراح ومعه مائتان من المهاجرين والأنصار وعقد له لواء ، وأمره أن يكونا جميعا ولا يختلفا ، فلما لحق بعمرو ، وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمـرا ، قال له عمرو : « انما قدمت مددا ، وليس لك أن تؤمنى وأنا الأمير » ٠٠ فقـال أبو عبيدة : « انظرن يا عمرو ٠٠ تعلمن أن آخر ما عهد الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قال : « اذا قدمت على صاحبـك فتطاوعا ولا تختلفا ، وانك والله ان عصيتنى لأطيعنك » ٠

وهكذا حقق عمرو مبدأ توحيد القيادة ، وحافظ على كيان القائد المسئول الذى أخذ المسئولية على عاتقه واضطلع بأدائها ، وأثبت قبل مئات السنين نظرية نابليون بونابرت أن قائدا رديئا خير من قائدين عظيمين ٠٠

وكان هذا من أهم أسباب نجاح غزوة ذات السلاسل ، فقـد جعل القيادة كلها فى يده ، وسار ـ وقد صار فى خمسمائة ـ حتى

دخل بلاد بلى ودوخها .. وكان اسمه وحده بشيرا بالنصر ، فقد ذكرت المراجع أن عمرا كلما وصل الى محلة بلغه انه كان بها جمع ، فلما سمعوا به تفرقوا .. وبهذا شتت جموع أهل الشـــام وأعاد هيبة المسلمين .

هزيمة المرتدين

وكان عمرو أحد القادة العظام الذين عهد اليهـــم القضاء على المرتدين فبدأ بقتال « قضاعة » ـ فى شمال شبه الجزيرة ـ وقضى على الردة فيها ، ثم وصلت رسالة من الخليفة الصـــديق يخبره أن يبقى حيث هو أو أن يسير الى الشام فكان رد عمرو :

« انى سهم من ســهام الاسلام وأنت بعـــد الله الرامى بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم بها شيئا ان جاءك من ناحية من النواحى .. » وعندئذ أمره ابو بكر على فلسطين .. ثم كان من قادة المعركة الكبرى ضد الروم ، قائدا للميمنـــة فى معركة اليرموك الفاصلة التى تم بها فتح الشام .

طلب الامارة

لقد قال المؤرخون فى عمرو : ان دهاءه السياسى كان يفـــوق براعته الحربية ، اذ كان حذرا غير مقدام وان كان يميـــــل الى الرياسة ، ويسعى للامارة ، فلما قال الخليفـــة أبو بكر : « ان جمعتكم حرب فأميركم أبو عبيدة بن الجراح ، ولم ييأس عمرو ، بل ذهب الى عمر بن الخطاب يناشده أن يكلم أبا بكر ليجعل عمرا أميرا على المسلمين بالشام .. فكان جواب عمر : « لا أكذبك » ، ما كنت لأكلمه فى ذلك أبدا ، وأبو عبيدة أفضل منزلة عندنا منك ، ويحك يا عمرو ؟.. انك لتحب الامارة ، والله ما تطلب بهـــذه

الرياسة الا شرف الدنيا .. فاتق الله يا عمرو ، ولا تطلب بشيء من سعيك الا وجه الله ، فأخرجه الى هذا الجيش ، فان لم تكن أميرا فانك ستكون فيما بعد » ..

واستمع عمرو الى هذا النصح العظيم ، وخرج بجيشه الى الشام ، وصار يترقب الفرصة التى يصبح فيها أميرا ليس فوقه أحد ..

وسرعان ما أقبلت الفرصة حين تم فتح فلسطين والشام واستتب الأمر فى عهد الخليفة عمر ، فجاء عمرو بن العاص يستأذنه فى السير الى مصر ، ووصفها بأنها أكثر الأرض أموالا ، وأنه اذا فتحها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وتأمينا لسلطان العرب ذى الجنوب ، بينما يكون بقاؤها فى يد الروم مما يعرض الموقف فى الشام للخطر .. وما زال به حتى أذن له ، وعقد له على أربعة آلاف رجل .

السير الى مصر

كان لعمرو سابق معرفة بمصر عند قدومه اليها للتجارة فى أيام الجاهلية ، وقد أعجب بخصب أرضها ، ووفرة خيراتها ، فطمع فى أن يعقد له اللواء ويكون الأمير ، ولم يزل يهون الأمر على الخليفة ويغريه ، ويعدد له المزايا والحسنات ، بينما كان الخليفة يزن الامور بميزان أكثر دقة ، وينظر فى متعدد الميادين ، ويشغله قبل كل شيء تثبيت أقدام المسلمين فى البلاد التى فتحوها والتى كان جندهم يقيم فيها بين الجزيرة والشام وفارس .. بل انه ظل مترددا رغم موافقته ، وبعث الى ابن العاص بجواب مشهور يأمره بالعودة اذا وصله الجواب قبل دخول مصر .. وقد حذر الداهية عمرو ما يمكن أن يكون فى هذه الرسالة التى وصلته فى رفح ، فلم يطلع عليها حتى دخل أرض مصر ، وأعلنها على جنوده .

وبلغ العرب العريش سنة ١٨ هـ فلم تقاوم ، ثم بدأت منها المرحلة الحاسمة على ذات الطريق التاريخى الذى سلكه سيدنا ابراهيم عندما سار الى بلاد العرب بابنه اسماعيل ، وسيدنا يوسف عندما سار من الشام الى مصر فى عهد فرعون ، وسلكه قمبيز ملك الفرس فى غزوته لمصر ، والاسكندر المقدونى فى طريقه الى الهند .

فلما بلغ العرب الفرما — مفتاح مصر فى ذلك الحين — حاصرها عمرو أكثر من شهر لما كانت عليه من قوة ومنعة ، فلما تم له فتحها فى أول المحرم سنة ١٩ هـ (منتصف يناير ٦٤٠ م) بارحها الى القنطرة ، فالصالحية ، حتى دخل بلبيس بعد قتال يسير .. وهناك وجد فى بلبيس ابنة المقوقس ، حاكم مصر من قبل الروم ، فرأى عمرو بثاقب فكره ، وحسن سياسته ، ان يبعث بها الى أبيها معززة مكرمة ، فكان لهذا التصرف أطيب الأثر لدى القبط ، فأعجبوا بالمسلمين وأحسنوا الظن بهم ، ورحبوا بمقدمهم ومدوا لهم يد المساعدة والتأييد .

رجل بألف رجل

وتباطأ عمرو واستحثه عمر .

وكانت المقاومة قد أخذت فى الشدة ، وعمرو على الأبواب يعالجها فى روية وحذر وحسن تقدير للموقف . فبعث الى الخليفة عمر يطلب المدد فأرسل اليه أربعة آلاف على رأسهم أربعة من كبار الصحابة ، الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، والمقداد بن الأسود . وجاء فى كتاب الفاروق :

« لقد أمددتك بأربعة آلاف وعلى رأس كل منهم رجل بألف رجل » !

وكان جيش الروم يبلغ عشرين ألفا بقيادة القائد تيودور • ودارت المعركة فى مكان « القاهرة » والتفوق العددى فى جانب الروم ، والايمان وحسن التدبير فى جانب العرب ـ وقد كان العرب ينتصرون بفضل القيادة البارعة •

وعلم عمرو قواته مستخدما الخدعة ، فجعل قوة فى جبل العباسة وقوة فى قرية أم دنين ، دون أن يفطن العدو الى هذا الاجراء الخفى الذى هو أقرب الأعمال الى طريقة « الكمائن » المعروفة فى الحرب الحديثة •• فلما التحم الروم بالقوة الرئيسية للعرب ظهرت القوتان الكامنتان ، فأصبح الروم بين جيوش العرب الثلاثة ، فانهزم الروم •

ثم كانت المعركة الفاصلة حول حصن بابليون الذى استمر يقاوم سبعة أشهر ثم سقط بعمل من أعمال الخداع ، وبعث المقوقس فى مباحثة العرب فخيره عمرو بين الاسلام أو الجزية أو القتال •

وعاد رسول المقوقس يحمل الى سيده شروط الصلح ، ويصف العرب وصفا رائعا ويقول : « رأينا قوما الموت أحب لهم من الحياة والتواضع أحب لهم من الرفعة ، ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم » •

وقد تأثر الحاكم بهذا الحديث وعرف العرب وقدر ما كانوا عليه من نظام وآداب ، فصار وقومه عونا للمسلمين •

وتم لعمرو فتح مصر واختار الفسطاط عاصمة لها وبعث الى الخليفة بالبشرى ، ووصف له مصر فى رسالة شائقة مشهورة •

« مصر تربة غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكتنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات ، يجرى بالزيادة والنقصان ، جرى الشمس والقمر ، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها ، حتى اذا عج

عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، لم يكن وصول بعض القرى الى بعض الا فى خفاف القوارب وصغار المراكب ، فاذا تكامل فى زيادته ، نكص على عقبيه كأول مابدأ من شدته ، وطما فى حدته ، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه ، يبـــذرون الحب ، ويرجون الثمار من الرب ، حتى اذا أشرق وأشرف سفاه من فوقه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فعند ذلك يـــدر حلابه ، ويغنى ذبابه ، فبينما هى ياأمير المؤمنين ورقة بيضـــاء ، اذا هى عنبرة سوداء ، واذا هى زبرجدة خضراء ، فتعالى الله الفعال لما يشاء » ٠

والى مصر

عندما انتهى أمر المسلمين ـ بعد مقتل عثمان ـ الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب نازعه وعارضه معاوية بن أبى سفيان الذى كانت له فى الشام قوة وعزوة واستعد للقتال واشتد ساعده بعمرو بن العاص يقود جنده ويبث أحابيله ويستخدم حيلـــه حتى اشاع الفرقة فى جيش على وغرر بأنصاره ، وسحبه الى كمين « التحكيم » ٠٠ ثم أخذت كفة معاوية فى الرجحان وصارت الولايات تنضم اليه حتى اذا ثبت الأمر له بعث بعمرو الى مصر وجعلها له ولاية مطلقة ٠

وفى مصر تجلت مواهب عمرو فى الحرب والسياسة ، وكان عهده خيرا عظيما عليها ، فنظم القضاء ووضع التقســـيم الادارى والضرائب وأشاع الحرية والعدالة ٠٠ ودخل ساحة التاريخ الذى وضعه فى صف عباقرة الحرب والسياسة ٠٠ ولا غرو فقد كان عمرو الجندى السياسى الأديب الذى وصف بحق بأنه داهية العرب ٠

القائد الأسد
سعد بن أبي وقاص

« انى لاول العرب رمى بسهم فى سبيل
الله »

« انه الأسد عاديا ».

عندما استشار عمر بن الخطاب أهل الرأى فيمن يوليه حرب الفرس ، أشاروا عليه بسعد بن أبى وقاص ، وقالوا عنه : انه الأسد عاديا . فسلم اليه قيادة الجيوش الاسلامية فى تلك الحرب الفاصلة .

ولا ريب أن الاجماع الذى تم لسعد كان له من المقدمات مايبرره ، وذلك بما عرف عن هذا الجندى الكبير والمسلم العظيم من صفات ومميزات قبل أن يتولى هذه القيادة الضخمة ، كما ثبت فيما بعد أن هذا الاجماع كان فى موضعه ، فقد كان سعد عند حسن الظن بكفايته ومقدرته حين مضى لمهاجمة دولة الأكاسرة ، وراح يدفع الجيوش العربية البدائية من بلد الى بلد ، وينتصر بها فى معركة بعد معركة ، ويرفع راية الاسلام ولواء العروبة ويكتب سطورا خالدة فى كتاب الزمن .

لقد كان سعد من شباب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين استجابوا لدعوته ، وتأثروا برسالته ، واغترفوا من حسناته وبركاته ، فصفت نفوسهم وصح اسلامهم واشتدت فى الجهاد عزيمتهم ، وانصقلت فى غمار الأحداث شخصياتهم . فكانوا أبطالا فى ساحات الوغى وساعات الشدة ، يقبلون على الموت فيفر منهم

الموت ، وتنتصر قلتهم على أضعاف أضعاف عددهم وبهـــذا هزموا المشركين ، وقضوا على المرتدين ، وأدالوا دولة الروم ، وختموا على سلطان الفرس وصاروا من أصحاب الفواصل فى التاريخ ٠

ان فى حياة سعد بن أبى وقاص صفحات مجد وفخار تسجل كل منها مرحلة من حياته الحافلة ، وتشهد بعظمة نفسه ، وقوة ايمانه ، وشدة بسالته ، ووفرة كفاءته وأنت حين تقلب هـــذه الصفحات تجده الأسد عاديا ، سواء فى الجاهلية حين كان فتى مرهوب الجانب موفور الهمة نافرا من طباع الجاهلية وعاداتها ، أو فى الاسلام حين أقبل عليه وهو ابن سبع عشرة سنة ، أو فى مجالات التجارة حين ظهرت براعته فأثرى وغنم ، أو فى هجرته حين وجد من حسن الرأى أن يفر بدينه ، أو فى ميدان القتال حين أعطى اللواء فأثبت أنه من أعظم القادة فى التاريخ كله ٠٠ وأخيرا تراه يستأثر بالتقدير والتوقير حين تسعى اليه الخلافة وهو يأباها ، وحين يجد التنافس على الحكم فيعتزل الفتنة وينأى عن مواطن الاغراء والشبهة الى أن يحين حينه ويلقى ربه راضيا مرضيا ٠

لا ادع دينى

١

نشأ سعد بن أبى وقاص فى الجاهلية حر الفكر ، متالق الذكاء ، موفور الكفاءة ، وكان يضيق بطباع أهل الجاهلية ، وينفر من عبادة الأوثان ويتحسس طريق الحق وسبيل النجاة ، فما أن طرق سمعه ووعيه داعى الاسلام حتى استبان بقلبه الرشاد ، وأحس من أعماقه جلال الدعوة وصدقها ، فبادر اليها مبادرة الظمآن للماء ، وقد روى عنه أنه قال :

« رأيت فى المنام قبل أن أسلم بثلاث كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئا اذ أضاء لى قمر فاتبعته فكأنى أنظر الى من سبقنى الى ذلك القمر ، فأنظر الى زيد بن حارثة والى على بن أبى طالب والى أبى بكر ،

وكأنى اسألهم متى انتهيتم الى هاهنا · قالوا : الساعة : وبلغنى أن رسول الله يدعو الى الاسلاممستخفيا ، فلقيته فى شعب أجياد ، وقد صلى العصر ، فأسلمت » ·

وهكذا كان سعد فى مقدمة من أسلموا لله ، وكان من العشرة الأبرار الأطهار الذين وعدوا الجنة ·

وقد مر فى فاتحة اسلامه بتجربة دقيقة اختبر فيها ايمـــانه وامتحنت نفسه ، ذلك أنه حين علمت أمه باســـلامه أضربت عن الطعام حتى يرجع الى ماكان عليه آباؤه ·· وفى ذلك قال سعد :

« كنت رجلا برا بأمى ، فلما أسلمت قالت : ياسعد ، ما هذا الدين الذى أحدثت ، لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى · فقال : لا تفعلى يا أمه فانى لا أدع دينى · فمكثت يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت ، فقلت : « والله لو كانت لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا الشىء » ·· فلما رأت ذلك أكلت فأنزل الله هذه الآية الكريمة :

« وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك بـه علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » ·

اول من رمى بسهم

كان صناعة سعد برى النبل ، وكان ماهرا فى الرمى ، ولا يخطىء ولا يخيب ، وقد رمى يوم أحد ألف سهم ، وكان رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ارم فداك أبى وأمى ، ارم أيها الغلام الحزور « أى القوى » ·

وتناول سعد سهما لانصل له ، فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ارم ·· فوقع السهم فى نحر « حبان » أحد الفرســـان الأشداء فى صفوف المشركين ، فدعا له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يسدد الله رميه ويجيب دعوته ·

وكان سعد يقول :

« انى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله · والله انا كنا لنغزو مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالنا طعام الا السمر وورق الحلبة » ·

وفى صحبة النبى - صلى الله عليه وسلم - مضى سعد ينمى مواهبه ، ويزيد تجاربه ، ويصقل شخصيته ويتم استعداده حتى أتيحت له الفرصة ليضع قدمه فى ساحة التاريخ « ويقرن اسمه بأعظم المعارك الفاصلة دون أن يخرجه ذلك المجد العظيم عن صفاته الأصيلة وطباعه الملازمة ، فكان كثير التقوى ، شديد الورع ، كبير الاخلاص ، عميق الايمان ، لاتخدعه الدنيا ولا تصرفه عن طريقه أعظم المغريات ، ولو كانت امارة المؤمنين ·· فقد كان أحد الستة أصحاب الشورى الذين نهد اليهم عمر ، وكانت له عصبية كبيرة تريده على الخلافة وهو يأباها ،وقا ل له ابن أخيه « ان مائة ألف سيف تريدك على الخلافة » فرفض ·

سعد القائد

فى البادية نشأ سعد نشأة عصبية قبلية ، وكان شابا قوى الأهاب كبير العقل ، مولعا بأدوات القتال ، محبا للتنقل والأسفار فالطبيعة الجندية كانت بارزة فى حياته وخاصة القيادة كانت فى أعماقه·، فلما توج ذلك بالايمان وشرح الله صدره للاسلام ، واضطرمت روح الجهاد ، واتقدت نار الحمية والبسالة ، فلما وطئت قدمه ساحة الحرب أبلى البلاء الحسن وأبدى الشجاعةالنادرة والكفاءة الباهرة التى أهلته لقيادة الجنود ووضع الخطط ، فبدأت شخصيته العسكرية تنمو وتعظم ، وأخذت كفاءته فى القيادة تنمو وتزدهر ، حتى صار غازيا لأعظم دول زمانه وقاهرا لأكبر جيوش عصره ·

ومن عجب أن هذا القائد البـــدائى الذى لم يتعلم الحرب فى مدرسة ، ولم يضع الخطط على الورق ، قد برع فى قيادته الى درجة يستوى عندها مع كبار العسكريين فى جميع الأزمان ، وقـد أبدى من المرونة والثبات والحنكة مايجعله ندا لأعظم القادة فى التاريخ كله ، وقد انفرد بتنفيذ مبادىء الحرب قبل أن يعـرفها العـالم الحديث ٠٠ فتراه فى معاركه يبدأ بدراسة الموقف للعدو ، ويجمع المعلومات من مصادر شتى ، ثم يبدأ بالسيطرة على الموقف لتكون لقواته ميزة « المبادأة » ويمعن فى التستر ليحتفظ بمبدأ المفاجأة ، ويبعث العيون تكشف عن تحركات العدو حتى يضمن « الوقاية » وحين يبدأ الهجوم تراه يضرب بشدة ليكون فى الساعة الحاسمة أكثر قوة وأعظم أبدا ، محققا مبدأ « الحشد » ٠٠ وغير ذلك ممـا سنذكره مفصلا فى المعارك التى خاضها وقادها سعد بن أبى وقاص

مبادىء الحرب

أنظر اليه فى أول اختيار ٠

عقد له النبى لواء الى الحراز بناحية المدينة ، فخرج على رأس عشرين رجلا من المهاجرين ـ مشاة ـ فكانوا يكمنون النهـــار ، ويسيرون الليل ٠

فاذا سألت عن سر هذا « التكتيك » قيل لك : ان هذا مبدأ من مبادىء الحرب يطلق عليه « الوقاية » يعمد اليه القائد الفطن حتى لاتظهر تحركاته للعدو فيظل أمره خافيا مستورا ، حتى يمكن له مفاجأة خصمه والقضاء عليه ٠٠ وهذا هو مافعله المارشال ويفل فى تقدمه على المعسكرات الايطالية فى الصحراء الغربية عام ١٩٤١ ! فى الحرب العالمية الثانية ٠

وكان سعد والزبير وعلى ابن أبى طالب من الخبراء فى أعمـال المخابرات ، كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبعث بهـم

لاستقصاء أخبار خصومه فيعودون اليه بأدق المعلومات ، وهذا هو ماتفعله الجيوش الحديثة ٠٠ حتى ليقال : ان الجيوش بمخابراتها ٠

وعندما انهزم المشركون في وقعة أحد بعث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ خلفهم سعدا لكى يستطلع أخبارهم ويعرف اتجاههم ٠٠ فان ركبوا الابل وجنبوا الخيل فهو الظعن ، وان ركبوا الخيل وجنبوا الابل فهى الغارة ٠٠ فخرج سعد يتبعهم فى حذر وخفاء حتى بلغ نقطة « المراقبة » فاذا هم ركبوا الابل وجنبوا الخيل ، فعاد فأخبر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعدولهم عن معاودة الهجوم !

وكان سعد يعلم أن أهم هدف فى الحرب هو رأس الجيش ، أى قائده فلما كانت احدى الليالى الحافلة بالأحداث مضى سعد الى مكان القيادة ليحمى النبى القائد ٠٠ قالت عائشة : سهر رسول الله ليلة مقدمه المدينة فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة ٠٠ فبينما نحن كذلك اذ سمعنا خشخشة سلاح فقال : من هذا ٠٠ قالوا : سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماجاء بك ؟ فقال سعد . وقع فى نفسى خوف على رسول الله أحرسه ٠٠ فدعا له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ٠

العمليات الاولى

بدأ سعد عملياته فى دائرة صغيرة ، ولكنها سرعان ما اتسعت فانتقل من قيادة عشرين رجلا الى مائتين الى عدة مئات فى المعارك التى خاضها ضد المشركين ، وقد امتاز خلالها بثلاث ميزات :

١ ــ دقة التصويب ٠٠ حتى أنه نثر كنانته فى احدى المواقع ، وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا وجرح انسانا أو دابة ٠٠ وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول له : ارم ، فداك أبى وأمى ٠

٢ ـ شدة الثبات ·· وقد ثبت مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى معركة أحد بين خمسة عشر رجلا ، منهم سبعة من المهاجرين ·· أبو بكر ـ عمر ـ عبد الرحمن بن عوف ـ على ـ طلحة ـ أبوعبيدة ـ الزبير وسبعة من الأنصار ·

٣ ـ وفرة الفطانة ·· ولهذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكلفه هو وعلى والزبير بأعمال المخـــابرات وتقصى خطط المشركين ونواياهم ·

غزو العــراق

انتصر الاسلام على الشرك ، وقضى على الردة ، واستتب له الأمر فى شبه الجزيرة ·· وبلغت جيوش المسلمين مشـــــارف العراق وأصبحت على حدود العربى والشام وخليج فارس ، حيث كانت أعظم دول ذلك العهد تزهو بتقدمها ، وتتمتع فى حصونها ، وتســـيطر بجيوشها المنظمة المدربة وأسلحتها المبتكرة النافذة ·

وبدأت مرحلة نشر الدعوة الاسلامية ، وأخذ خليفـة المسلمين أبو بكر يعد العدة للفتح ، فبعث الى العراق خالد بن الوليد وعياض ابن غنم والمثنى بن حارثة والقعقاع بن عمرو وتم لخالد بن الوليد اخضاع الحيرة ، وقضى على دولة المناذرة التى كانت تحكم العراق من قبل الأكاسرة ، وانصرف خالد الى الشام مستخلفا المثنى على العراق وحدث أول صدام كبير بين العرب والفرس ، فانهزم الفرس وكان ذلك نذيرا بانحلال دولتهم ، والقضاء على قوتهم الغاشمة ·

وعندما ولى أمر المسلمين الخليفة عمر وفد عليه المثنى بن حارثة يستأذنه فى حرب الفرس ، وخاصة وأنهم فى حالة اضطراب بعـد وفاة ملكهم شهر يراز وتنازع الأمراء والقواد على الحكم ، فدعا عمر الى الجهاد ، وجعل أبا عبيدة بن مسعود على رأس القوة السائرة

الى العراق ، وبدأت المناورات بين العرب والفرس ، وأخذ كل من الفريقين يستعد للمعركة الفاصلة ·

ورأى عمر أن الساعة الحاسمة أقبلت · فأخـــذ يستنفر الهمم ويجمع المجاهدين فانسابت الامدادات وأقبلت القبائل يدفعها روح الجهاد ونفحة الاسلام وصوت الحق ··

سالت عليه شعاب الحى حين دعا
·· أنصاره بوجـــــوه كالدنانير

وعندما استشار الخليفة كبار المسلمين فيمن يعهد اليه بالقيادة أشاروا عليه بأن يعهد بها الى ســعد بن أبى وقاص ، وقالوا انه الأسد عاديا ·· فأمره على حرب العراق وناط به غزو فارس ،وأسر اليه بوصيته التالية :

« انى قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى فانك تقـــدم على أمر شديد كريه لايخلص منه الا الحق · فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فعتـــاد الخير الصبر » ·

« ياسعد : عليك بالثبات عند الشدائد ، والتجلد فى المكاره ، فاصبر وصابر ، والله معالصابرين » ·

الى ارض المعركة

خرج سعد ومعه أربعة آلاف مقاتل فيهم السراة وزعماء العرب ، وشيعهم الخليفة عمر الى موقع الأعوص وأوصاهم وقوى عزائمهم ، فلما بلغوا موقع « زرود » انضم اليه أربعة آلاف ، ثم وافاهم الأشعث ابن قيس فى ألف وسبعمائة وانضمت اليهم قوات المثنى بن حارثة ، فصار تحت لواء سعد ثلاثون ألفا ، كلهم متعطش للجهاد متحمس للفوز ·

وجاءه كتاب من أمير المؤمنين يقول فيه :

« أما بعـــد ، فسر من « شراف » نحـــو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله ، واعلم فيمـــا لديك أنك تقدم على أمتهم عددهم كثير وعدتهم فاضـــلة وبأســـهم شديد ، وعلى بلد منيع وان كان سهلا ‥ واذا لقيتم القوم أو واحدا منهم فأبدأوهم بالشر والضرب ، واياكم والمنـــاظرة لجموعهم ولا يخدعنكم ، فانهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم الا أن تجادوهم ‥ واذا انتهيت الى القادسية ، والقادسية باب فارس فى الجاهلية وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأصل · وهو منزل رغيب خصيب دون قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مســـالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر ، ثم الزم مكانك ، فلا تبرحه فاذا أحسوك أنقصـــتهم رموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم فان أنتـــم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الامانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لايجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم · وأن تكن الأخرى كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى صبورة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبهـــا أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة ·

وترجمة ذلك الكلام فى « الأوامر » الحديثة هو :

« لا تتوغل فى أرض العدو واتخذ خطة الدفاع الهجومى فى منطقة الحدود ، العدو سيلقى صعوبة ومشقة فى الوصول الى مواقعك · اذا انتصرت تكون قضيت على قوتهم الأساسية ويصعب بعدها أن يعدوا قوة مثلها ، واذا انهزمت يكون فى استطاعتك الانســـحاب بسهولة على أرضك التى تعرفها جيدا ويجهلونها ‥ » !

وجاءته أيضا وصية لها قيمتها من جندى باسل عرك هذا الميدان بالذات وكانت له فيه تجـــارب وخبرات وهو المثنى بن حارثة الذى

فاضت روحه من جروحه ، وكانت وصية المثنى لسعد أن لايتوغل في بلاد العدو بل يصمم على قتالهم عند الحدود .

وكتب سعد الى عمر يصف اليه القادسية فقال :

القادسية بين الخندق والعتيق ،وان ماعن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى الحضوض ، يطلع بمن سلكه على مابين الخورنق والحيرة ، وأن ماعن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم .

وهكذا كانت الاتصالات مستمرة بين الخليفة وقائد جنده يبادلان خلالها المعلومات ويتفقان بموجبها على الرأى والخطة ، وقد أقام سعد بالقادسية شهرا دون أن يتحرك اليه العدو فلم يضيع الوقت هباء بل كان نشيطا فى أعمال المخابرات للحصول على المعلومات عن الأرض والماء والكلأ وتحركات العدو .. الخ ..

وبدأ سعد يضع خطته ، فقرر أن يبدأ بالسياسة قبل القتال - وكان هذا من رأى عمر تجنبا لاراقة الدماء اذا ما استمع الفرس للانذار واستجابوا للحق ، فالهدف الحقيقى لحملة العرب فى فارس لم تكن الغزو والغلبة ، وانما كانت الدعوة الى الاسلام ، والا فالجزية .. وأخيرا .. الحرب !

بعث سعد وفدا الى الملك يزدجرد منهم النعمان بن مقرب والأشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معد يكرب ، فقابلهم الملك بازدراء واحتقار واعتبر أن غزو العرب لفارس نوع من المقامرة والجرأة فأجابه النعمان برسالة الحق ودعاه وقومه الى الاسلام فاذا أبى فالجزاء (أى الجزية) والا فالمناجزة (أى الحرب) .

ثم قال المغيرة : اختر ان شئت الجزية عن يد (أى عن ذلة) وأنت صاغر وان شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك .

فرد يزدجر مغضبا : أتستقبلنى بمثل هذا ! لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء عندى لكم ! ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليكم « رستم » حتى يدفيه ويدفيكم فى خندف القادسية وينكل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور .

ثم أمر بتراب فحمله أشرفهم ــ وقد فاز بهــذا الشرف عاصم ابن عمرو فلما عادوا الى سعد ورأى ما يحمله عاصم من تراب فارس قال : أبشروا فقد أعطانا الله أقاليد ملكهم .

وقال يزدجرد لخاصته : لقد وعدت القوم أمرا ليدركنــه أو ليموتن عليه أما رستم فقد تطير مما حدث .

وقال أحد رجاله : ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك .

منطق العرب

ومكث الفرس أربعة أشهر لا يتقدمون للقتال ، والعرب ــ كما رأى عمر ــ يلتزمون مكانهم لا ينخدعون من هذا الصمت ولا يبدلون تلك الخطة التى تقضى بالبقاء فى القادسية حتى يسير اليهم الفرس ولا يضجرون بمكانهم فينصرفون .. ودفع سعد بمقدمته أمامه وبدأ نشاط المخابرات ، وغارات الحدود ، واختبار الجبهة . وبدأ الفرس يتحركون ووصلت خلافهم الى نهر العتيق وصالوا قبــالة قوات المسلمين ، وأرسل رستم الى زهرة أن يوافيه ليتحادثا فقال له زهرة أنا لم نأتكم لطلب الدنيا وانما طلبتنا وهمتنا الآخرة ونحن ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله تعالى وأن يكون الناس أخوة .

ثم أرسل سعد رمين بن عامر فدخل على رستم وهو فى سرية من ذهب وزينة ومظاهر فكان الزهد والبساطة فى جانب والفخــامة والمظاهر فى جانب آخر .. وقال له : اختر الاسلام وندعك وارضك أو الجزاء فتقبل ونكف عنك !؟

وقد عاد رستم فطلب المندوب العربى لمباحثات جديدة ، فأرسل سعد اليهم حذيفة بن محصن ،فأقبل على فرسه فى ثياب بسيطة وهيئة متواضعة وليس معه سوى رمحه فقيل له : انزل قال ذلك لو كنت جئتكم فى حاجة لى ، فقولوا لملككم : اله حاجة ؟ أم لى ؟

فان قال : لى ، فقد كذب ورجعت وتركتكم ·

فقال رستم دعوه ، ثم سأله ما جاء بكم ·

قال : ان الله عز وجل من علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين ، ثم أمرنا بدعاء الناس الى واحدة من ثلاث ، فأيها أجابوا اليها قبلناها : الاسلام وننصرف عنكم ، أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك ، أو المنابذة ·

فلما كان من الغد أرسل رستم الى العرب : ابعثوا الينا رجلا ، فبعثوا اليهم المغيرة بن شعبة فأقبل حتى جلس على السرير · وهم يتظاهرون باحتقاره وتهوين شأنه ·· فقال :

اليوم علمت أن أمركم مضمحل وانكم مغلوبون ، وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول وقدم رستم عرضه : « آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وأمر لكل رجل منكم بوقر (حمل) وتمر وبثوبين ، وتنصرمون عنا ، فانى لست أشتهى أن أقتلكم ولا آسركم · وكان رد المغيرة : الاسلام أو الجزية وأنت صاغر ، والا فالسيف !

وفى اليوم التالى بعث سعد انذاره الأخير على يد ثلاثة من ذوى الرأى ولكن لم تصلح المفاوضة وتهيأ الفريقان للحرب ، قال رستم : أتعبرون الينا أم نعبر اليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا الينا ·

معركة القادسية

وقف العرب فى جانب يشد أزرهم ايمانهم بالرسالة وثقتهم بالنصر أو الشهادة وفى الجانب الآخر أقبل الفرس بخيلهم وفيلهم وعددهم وعدتهم واستعد كل فريق للمعركة ·

وكان سعد مصابا بقروح لا يستطيع معها الركوب أو الجلوس فأصدر « الأمر اليومى » لجيشه قال :

انى قد استخلفت عليكم خالد بن عرنطة ، وليس يمنعنى أن أكون مكانه الا وجعى الذى يعودنى « عرق النســاء » وما بى من الحبون « الدمامل » فانى مكتب على وجهى وشخصى لـــكم باد فاسمعوا له وأطيعوا ، فانه انما يأمركم بأمرى ويعمل برأيى .

وكان سعد معنيا بالتعبئة الروحية عليما شأهمية القوة المعنوية فجمع الشعراء والخطباء وذوى النجدة والسيادة لكى ينطلقوا بين المجاهدين يحضونهم على الاستبسال ويشجعونهم على المكاره حتى دمغوا فى نفوسهم الحمية وحببوا اليهم الموت فى سبيل الله .

ووضع سعد توقيتات العمليات ، وكان التوقيت بالتكبير .
كبر التكبيرة الأولى فأخذت كل جماعة مكانها ، ثم ثنى فاستعد كل فرد « ساعة الصفر » ـ فبدأ الزحف العام .

وبدأت الجولة الأولى بمفاجأة كان الفرس قد أعدوها لقهــر معنويات العرب ، فقد أخذت الفيلة تؤثر فى الموقف وارتدت أمامها صفوف العرب ، وكادت بجيله أن تضيع وفرت خيلها نفارا فدفع سعد لنجدتها بنى اسد ، فأعملوا بنبلهم فى الركبان واستدبروا الفيلة فقطعوا وضنها ، وهنا تغير الموقف وصرخت الفيلة وألقت حملها وعدت مذعورة ، واستمر القتال حتى غروب الشمس دون أن يحدث تغيير يذكر فى موقف القوات وان كانت خسائر بديلة وأسد كثيرة ، ولكنها وقت العرب وحالت دون افلات زمام المعركة .

وهكذا انقضى اليوم الأول من أيام القاسية وهو يوم أرماث ـ كما جاء ذكره فى المراجع القديمة ـ ومضت ليلة الهداه ـ بغير قتال ـ ثم كان اليوم الثانى « يوم اغواث » الذى أقبلت فيه الامدادات من الشام وعلى مقدمتها القعقاع بن عمرو ومنهم خمسة آلاف من ربيع وحضر وألف من اليمن والجميع بقيادة هاشم بن عنتبة .

دخل القعقاع المعركة بمظاهرة هائلـــة ، عشرة بعد عشرة ، فاستبشر الجنود وقويت معنوياتهم ، ثم تقدم الى الفرس ونادى : من يبارز ؟ فتقدم أحد شجعانهم فصرعه القعقاع ، ثم أقبل عليـــه آخرون فجرت عدة مبارزات فردية بين العرب والعجم كان النصر فيها للعرب .. وكان القعقاع يقول « يا معشر المسلمين . باشروهم بالسيوف ، فانما يحصر الناس بها » .

ودارت رحى المعركة ، وخاصة بعد انتفاء عنصر المفاجأة ــ وهو الفيلة ــ حتى قيل أن الفرس وجدوا من الابل يوم أغواث أعظم مما لقى المسلمون من الفيلة يوم أرماث .

وكانت نتيجة المعركة تتجه لصالح المسلمين فبلغ عدد القتلى من المسلمين ألفان بينما كان قتلى المشركين عشرة آلاف .

وكان سعد معنيا بالشئون الادارية فجعل النساء يقمن بدفن الموتى واسعاف الجرحى ونقل السلاح والماء والغذاء .

ولم يضع الليل سدى .

كان سعد يأمر فتستعد قواته على نحو ما تســـتعد القوات الحديثة للعمليات الليلية فاتخذت كل جماعة أهبتها وكل جندى استعداده لبدء هجوم الفجر .

وجاء بقية امدادات الشام بقيادة هاشـــم بن عتبـــة قبيل بدء القتال .

وكان الفرس قد أعدوا للساعة الحاسمة عدتها فأعادوا تنظيمهم وجهزوا عددا من الفيلة فى حماية المشاة .

وبدأ القتال فى اليوم الثالث « يوم عماس » ــ المعركة الحاسمة ــ ونجح هجوم الفيلة ، فقام القعقاع وهاشم بعملية فدائية وأصابا الفيل الأول فى عينه ودخل بعض الفدائيين فصنعوا مثلهم فنفرت الفيلة وفرت مذعورة وأحدث هرجا ورعبا .. وبهذا فتـــح العرب طريقا فى صفوف الفرس واشتدت رحى المعركة وصارت الدائرة لمن صبر .

وعلاج مشكلة الفيلة فى هذه الموقعة هو من قبيل معالجة الأسلحة المفاجئة فى الحروب الحديثة ، فالدبابات ثم الغازات السامة كادت أن تضع نهاية للقتال فى الحرب العالمية الأولى لولا نهوض الطرف الآخر الى معالجتها بأسلحة مضادة أو أساليب واقية فضاع عنصر المفاجأة وتحول اتجاه المعركة .

وفى الوقت ذاته فان الفرس لم يسلموا بهزيمة الفيلة ، وانما أحدثوا تطورا فى استخدامها وذلك بدفع قوات راكبة « خيالة » حولها لحمايتها من الفدائيين ، ومع هذا فقد انتهت المفاجأة ولم تحقق أثرها الذى كان منتظرا .

واستمرت المعركة على أشدها بين الفريقين وقد تميزت باقدام العرب واندفاعهم فى حومة الموت ، وتأرجح المصير حتى أن أوامر القائد العام لم تعد مسيطرة على الموقف فقد اندفع طلحة فى ناحية والقعقاع فى ناحية أخرى ، ومضى الليلة فى عراك وخيم العاقبة حتى اذا طلع الصبح اتضح أن العرب هم الأعلون واشتد القتـــال حتى الظهيرة وبدأ الخلل يتسرب الى صفوف الفرس ، وضاع أمل قائدهم فأسلم الى الفرار . ولكن جماعة من المسلمين أحسوا بمحـــاولته فمضوا وراءه حتى أمسكوا به ، واستطاع هلال التيمى أحد رجال القعقاع أن يقتله بضربة سيف ويصيح « قتلت رســـتم ، ورب الكعبة » !

حدثت الهزيمة اذن ، وأقرها قائد الفرس ، فحدث الانهيار فى الجبهة ولم تستطع محاولات « الجالينوس » ـ القائد التالى لرستم ـ أن تنقذ الجيش المنهار فغرق ثلاثون ألف فارس فى النهر .

متابعة النجاح

وأجرى سعد ما يسمى فى العرف الحديث ـ عملية اعادة التنظيم ـ كما أجرى عملية مطاردة القوات المنسحبة ، حتى اذا اطمأن على الموقف بعث الى الخليفة ينهى اليه بخبر النصر .

« أما بعد ، فان الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، واتبعهم المسلمون على الأنهار فى الفجاج » .

وجاء رد الخليفة أن يبقى القائد فى القادسية حتى تصلح أوامر أخرى ، وقد جاءت هذه الأوامر بعد شهرين بالسير الى المدائن ، فدفع اليها بمقدمة على رأسها زهرة بن الحوية ثم عبد الله ابن المعتم، فالتقوا بحاميات فى الطريق وفلول قوات منهزمة ومقاومات محدودة كان أهمها ما حدث فى بابل ووصفته الكتب القديمة بأنه « كلفت الرداء » ثم هزم جنود « المظلم » الذين كانوا يقسمون بأن ملك فارس يزول ما عاشوا .. فلما دخلها سعد قرأ « أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال » .

وحاصر سعد بلد « بهرسير » شهرين مستخدما المجانيق والعرادات والدبابات ـ وهى من الأسلحة المؤثرة فى الحصار ـ حتى أتم غزوها وأسر أهلها .

عبور النهر

أخذ سعد يفكر فى عبور دجلة الى المدائن .

كان أمامه طريقان : اما العبور على سفن ، وهو ما لم يكن متيسرا حيث أن الفرس لم يتركوا ذات ألواح ودسر .

وأما الخوض : وهو ما لم يكن على علم به .. فأخذ فى دراسة طرق العبور .

والموانع المائية تعد فى مقدمة ما يضايق الجيوش فى تحركاتها ـ سواء فى الماضى أو فى الحاضر ـ وخاصة اذا كان العبور الى المعركة الحاسمة .

وقرر سعد العبور من مخاضة دله عليها بعض الدارسين لطبيعة المنطقة ولم تكن المشكلة مشكلة العبور فى حد ذاته • فقد كانت هناك مشكلات أخرى : تأمين العبور ـ الدفاع عن المنطقة ـ المقدمة ـ رأس الكوبرى •

وكان ينتظره على الضفة الأخرى خطة مقابلة •

ودفع سعد بمقدمة على رأسها عاصم بن عمرو ، وصاح عاصم فى جنوده الستمائة « الرماح •• الرماح •• أشرعوها وتوخوا العيون » !

وقالت المصادر القديمة أن من لم يقتل من الفرس صار أعور ! •

ونجحت معركة العبور ، وتلاحق معظم الجند ، وركبوا اللج ، وان دجلة لترمى بالزبد ، وان الناس ليتحدثون فى عومهم ما يكترثون ، كما يتحدثون فى مسيرهم على الأرض ، وطبقوا دجلة خيلا ورجلا حتى ما يرى الماء من الشاطىء أحد ثم خرجوا من الماء والخيل تنفض أعرافها صاهلة فلما رأى الفرس ذلك انطلقوا لا يلوون على شىء وانتهى المسلمون الى القصر الأبيض ••

ودخل سعد المدائن وانتهى الى ايوان كسرى وأقبل يقرأ : « **كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين** » •

قائد كبير ومسلم عظيم

وهكذا قاد سعد معركته الكبرى ، وهى احدى معارك الاسلام الحاسمة فقضى على دولة الأكاسرة ، وترك الدليل على كفايته الحربية التى تضعه فى مصاف عظماء القادة فكان واسع الأفق فى تقديره للموقف ووضعه للخطة ، واستشارته لرفقائه وتصرفه للأزمات وصبره على المكاره ••

وهو الى جانب كفايته الحربية كان من أعظم المسـلمين شأنا وأبقاهم أثرا ، واشتهر بصدقه الحديث ودقته فى الرواية حتى قال عنه عمر بن الخطاب :

« اذا حدثك سعد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا تسأل عنه غيره » .

وكان كريم الأخلاق ثابت الوفاء ، وقد روى انه كان بينه وبين خالد كلام فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد ، فقال له سعد :

« مه . ان ما بيننا لم يبلغ ديننا » .

وهكذا ختم على فم النمام المغتاب .

وكان سعد رجل مبادىء فقد أسلم عن اقتناع ومضى فى صحبة الرسول وخلفائه عن عقيدة ، فاذا صادفه أمر على غير ما يرى سارع الى المجاهرة به ، حتى انه كان يراجع النبى ــ صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أحد الستة أصحاب الشورى الذين عهد اليهم عمر ، وكانت له عصبية كبيرة تريده على الخلافة وهو يأباها ، حتى قال له ابن أخيه هاشم أن مائة ألف سيف تريده فرفض وقال على يغبط سعدا وعبد الله بن عمر اعتزالهما الفتنة .

ولما دخل على معاوية بعد استقرار الأمر له قال :

السلام عليك أيها الملك .

فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا أمير المؤمنين .

فقال سعد : والله ما أحب انى وليتها بما وليتها به (يقصد انه وليها بالسيف) .

وعندما حضرته الوفاة طلب جبة له من الصوف كان قد لقى المشركين فيها يوم بدر ، فأخفاها ليوم وفاته ، ومات وهو فى الثالثة والثمانين من عمره وكان آخر العشرة الكرام موتا ؛

وترك مائتين وخمسين ألف درهم ! .

القائد السعيد
الزبير بن العوام

قائد عربي من العشرة الذين وعدوا الجنة- وصفه عمر بن الخطاب بأنه « رجل بألف- رجل »

« بوركت صفقة يمينك »

قالها محمد صلوات الله عليه ، فكان الزبير بن العوام مباركا في روحاته وغدواته سواء في ساحات القتال أو في حلبات التجارة .. فالقائد الباسل الذى وصفه عمر بن الخطاب بأنه يساوى ألف رجل ، فتح الله عليه وبسط له فى الرزق فكان صاحب أموال طائلة وقصور فاخرة وثروة بلغت نصف مليون دينار .

وقد كان الزبير فتى حين انبثق نور الاسلام ، فأعمل فكره فى هذه الدعوة الجديدة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وشرح الله صدره للاسلام ، فكان خامس من أسلم وعمره حينذاك ست عشرة سنة ، وكان اسلامه استجابة لأبى بكر الصديق مع عثمان وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف فصار المسلمون ثمانية نفر أول من أسلم وصلى لله .

ومضى الزبير فى ساحة الجهاد فأبلى بلاء حسنا وكان من العشرة الذين بشروا بالجنة وأحد الأبطال الشبان الذين نشأوا فى مدرسة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعرفوا المثل الأعلى ومضوا على طريق الشرف ، وقد عركتهم الأحداث وصقلتهم الحرب حتى كانوا يقبلون على الموت فيفر منهم الموت ويجرى فى ركابهم النصر وتتخاذل أمام شجاعتهم ايمانهم أمنع الحصون وأثبت القلاع .

وقد اشترك فى جميع طلعات الجهاد وكان من رجال الصف الأول فلم يتراجع قط ولم تحل بساحته هزيمة ، بل كان سيفا من سيوف الله سله على المشركين وقد قربه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأولاه ثقته الغالية ٠٠قال على بن أبى طالب ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ان لكل نبى حواريا ، وحوارى الزبير ابن العوام » ٠

وهو أول من سل سيفا فى الله عز وجل ٠ وقصة ذلك أنه سرت اشاعة بمكة أن النبى أخذه الكفار ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه — ورسول الله بأعلى مكة — فلما بلغه قال له : مالك يازبير ؟ قال : أخبرت أنك أخذت ٠٠ !؟ فصلى عليه النبى ودعا له ولسيفه ٠

قائد مجدود

لقد كان الزبير متعدد المزايا كثير الحسنات ، فمن أى النواحى أتيته رأيت خلقا عظيما ونشاطا باهرا واجتهادا وجهادا وفضلا وتضحية ، كان يجمع بين عراقة الأصل وكرم المحتد وشرف الغاية ونبل المقصد ، وسمو الكفاءة وسعة الحيلة ٠٠ ألم يكن حوارى رسول الله وابن عمته ، وابن أخى خديجة أم المؤمنين ، وخامس من أسلم ؟ ألم يكن البطل المغوار فى ساحات الحرب ، والفدائى الباسل فى ساعات الحرج والقائد الفطن اذا امتنعت القلاع وصمدت الحصون ؟!

ألم يكن التاجر الخبير والمالى الكبير الذى بوركت صفقة يمينه فامتلك الضياع واقتنى القصور ، لقاء ما أسدى من الخير وأجزل فى العطاء والاحسان ٠

فهذا « التوفيق » الذى كان الصفة الغالبة على سيرة وحياة الزبير بن العوام هو التوفيق الذى اشتهر به كبار القادة وأفذاذ الرجال ، وقد جاء نابليون بعد مئات السنين ينشد بين رجاله

« القائد الموفق » • وفسر المارشال ويفل الناشئة العسكرية معنى التوفيق الذى كان يقصد نابليون فقال : انه كان يقصد القائد الشجاع •• وقد كانت الشجاعة صفة الزبير وسر توفيقه •• يسمع ان الرسول أخذه الكفار فيهرع الى سيفه يقتحم به الجموع، ويسمع ان الرسول فى مأزق حرج خلال معركة « أحد » فيطير الى مركز الخطر ، ويسمع أن حصن بابليون صامد ممتنع ، فيصعد الى أعلى الحصن متعرضا للخطر الماحق ، فينهزم الحصن المنيع أمام شجاعة وفطانة رجل واحد •• كان كما قال عنه حسان بن ثابت :

هو الفارس المشهور والبطل الذى
يصول اذا ما كان يوم محجل
أقام على عهد النبى وهديه
حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه
يوالى ولى الحق والحق أعدل

رئيس المخابرات

كان الزبير بن العوام رجلا موهوبا فهو لم يتعلم فن الحرب فى مدرسة ولم يقرأه فى كتاب ولكنه قاد الجند واشترك فى وضع الخطط وأبلى فى القتال وقهر الجيوش المنظمة وغزا الحصون المنيعة ، بل انه طبق قواعد الحرب قبل أن يتحدث عنها نابليون بمئات السنين •

ففى معركة بدر كان أحد القادة الأربعة الكبار : على والزبير وحمزة وأبو دجانة وكان القائد لا يضع الخطة فحسب أو يكتفى بالهيمنة على تحركات قواته وانما كان يشترك اشتراكا فعليا فى القتال وكان يتقدم الصفوف ويضرب لجنوده المثل الأعلى فى الاقدام والبسالة •• ومثلما يكون ، يكون الجنود •

وبايعه على الموت مع على وطلحة وخمسة من الأنصار ، وبهـذه الروح الفدائية تحولت المعركة من هزيمة منكرة الى نصر مؤزر .

وكان فطنا أريبا كثير المعرفة والكياسة ولهذا كان بمثابة رئيس المخابرات ، وقد بعث به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى بنى قريظة عندما بلغه أنها نقضت العهد وجاهرت بالعداوة ، فعـاد الزبير يقول انهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهـم ويجمعون ماشيتهم .

وكان هو ، وسعد بن أبى وقاص وعلى بن أبى طالب عيون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومخابراته يرسلهم الى مشارف أرض العدو يلتمسون الأخبار .

وفى معركة الخندق كان الزبير يستطلع تحركات المشركين ، فلما نجحت خطتهم فى اقتحام الخندق نفر لهم مع علىّ وعمر وحدثت مناوشة بارعة مفاجئة ردتهم على أعقابهم .

وفى فتح مكة كان الزبير على الميسرة وخـالد على الميمنة وأبو عبيدة على المقدمة والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القلب .

مع الخلفاء

عندما صعد أبو بكر المنبر عقب البيعة نظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا به فجاء ، فقال له :

ابن عمة رسـول الله وحواريه ، أردت أن تشـق عصـا المسلمين !

فقال الزبير : لا تثريب ياخليفة رسول الله ، وقام فبايعه .

ومضى فى هيئة أركان حرب الخليفة الصديق ، وكان موضع تقديره واحترامه ، لا يقطع فى أمر برأى قبل مشـورته دون أن يتوارى وراء هذه المشـورة ليدفع عن نفسـه لوما أو يلقى عنه تبعة .

ولما قارب عمر منيته خشى أصحاب رسول الله أن يقضى نحبه دون استخلاف فسألوه فقال :

« عليكم بهؤلاء الذين انتقل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى ربه وهو عنهم راض وقال فيهم أنهم من أهل الجنة : على ، وعثمان ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله وابن عمته ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله ابن عمر • على ألا يكون له من الأمر شىء » •

ولما قتل عثمان وأقبل الناس على مبايعة الامام على قال :

« ليس ذلك الحكم انما الحكم لأهل بدر •• أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فبايعوا » •

الزبير فى مصر

ومن أبرز الوقائع التى اشترك فيها الزبير فتح مصر ، وقد كانت تلك المهمة موكولة الى عمرو بن العاص الذى طوى الفيافى والقفار فى غزوة مظفرة حتى بلغ الفسطاط • وهناك صمد له حصن بابليون فكتب الى أمير المؤمنين يطلب مددا ، فأرسل اليه عمر أربعة آلاف رجل وعلى رأس كل ألف « رجل بألف رجل » وأحد هؤلاء •• الزبير بن العوام •

وقد درس الزبير الموقف وجال ببصره حول الحصن العتيد فأدرك فى التو أن الأمر لا تنفع فيه القوة وحدها ، و لابد من حيلة ومفاجأة اذ أن الحرب خدعة والتضحية فيها واجبة • ومثلما كان الاسكندر المقدونى يقدم جنوده فى ساحة الخطر ومعمعان الموت تقدم الزبير فصعد الى أعلى الحصن رغم ما فى ذلك من خطر محقق ، وأخذ يكبر والجنود يرددون تكبيره حتى وقع فى روع المدافعين أن هذه صيحة النصر وان المسلمين قد نجحوا فى دخول الحصن فارتج عليهم وضل تفكيرهم وأطلقوا أرجلهم للريح ولاذوا بالتسليم •

وتم الاستيلاء على حصن بابليون بعملية خداع وقائد شجاع .

وكان الزبير خبيرا بالتجارة قديرا فى استغلال أمواله كثير الاحسان فبارك الله له ، وبلغت ثروته نصف مليون دينار ، وكانت له قصور فى الكوفة والبصرة والفسطاط والاسكندريه تشـــهد بخيرات الايمان والاحسان .. ولكن أعظم ممتلكات الزبير بن العوام كانت بلا مراء ، سيفه .. ذلك السيف الذى طالما فرج الكربة عن رسول الله .

قائد الوحدة العربية

صلاح الدين الأيوبي

ان التاريخ يعيد نفسه .. وان عهدا لصلاح الدين يوشك ان يعود ٠

ما أشبه الليلة بالبارحة .

ان نفس المأساة يراد تمثيلها من جديد « وعلى نفس المسرح » فلسطين !

البارحة : غارات الصليب بدعوى حماية الأماكن المقدسة !

والليلة : محاولات الاستعمار بدعوى انشاء موطن لليهـود !

والهدف : اذلال وطن عربى تحت أقدام الغـرب فلا تقـوم له قائمة .

والطريقة : اشاعة الفرقة والبغضاء بين العرب فتتبدد قوتهم وتذهب ريحهم ، فيستسلمون !

وكادت المؤامرة أن تنجح فى الماضى بسبب أطمـاع الحاكمين وضعف المحكومين وتفرق الكلمة وتفتت الوحدة . فأقبل الخطر بخيله ورجله ودعواه ودعايته ، وتعرض الوطن العربى الغالى للضياع والمذلة لولا رحمة الله ، فجعل على صلاح الدين يوسف بن أيوب وحدة العرب ، وتجميع قواهم ، وقد أهلته بصيرته النافذة وسجاياه الحميدة وخبرته بفنون الحرب والحكم ، فقـاد الجيش العربى

الموحد ، وصد غارات الصليب عن الشرق وأهله واستبقى للحضارة الاسلامية حياتها وقوتها ٠

وكادت المؤامرة أن تنجح فى الحاضر ، بفضل الدعاية العالميـة التى عمت الأقطار الغربية لنصرة الصهيونية ، وبفضل المحـاولات الاستعمارية للنيل من وحدة العـرب وتفريق كلمتهم ، بالضغط تارة ، وبالرشوة تارة أخرى ، والاغراء بالمعونة الاقتصادية والدعوة للأحلاف العسكرية ٠٠ نعم كادت المؤامرة أن تنجح لولا يقظـة الشعوب العربية وفطنتها لما يجرى من محاولات وما يبيت للوحدة العربية بليل ، فكشفت عن سلسلة المؤامرات ، وعرفت من أبنائها المخدوعين والطامعين الذين انكشف أمرهم وافتضح سرهم ٠

وها هو ذا لواء « الوحدة » العربية يخفق عاليا ، وقد تعلقت به آمال الملايين الذين سنيزحف جيشهم فى الساعة المناسبة لتخليص الوطن العربى من تلك الظاهرة الشاذة والرقعة البالية التى يراد الصاقها بالثوب العربى النظيف ٠

نعم ٠٠ لقد أقبلت ساعة الخلاص ، وسوف تلقى الصهيونية ــ ومن ورائها الاستعمار ــ ضربة قاضية لا تجعل لها بعد اليوم مكانا فى البلاد العربية ٠

ان عهدا لصلاح الدين يوشك أن يعود ٠

لم يكن صلاح الدين ملكا بالوراثة ، أو حاكما بمقتضى الصدفة، ولكنه جاء من عامة الشعب عربيا مخلصا لعروبته مسلما غيورا على دينه ، وقائدا من الذين قلما يجود بمثلهـم الدهر ، وعبقـريا من أصحاب التاريخ الذى يختصهم بأحداثه الباهرة ووقائعه الفاصلة فيؤثرون فى مصائر أممهم ومستقبل العالم بأسره ٠

انه أحد الكبار الذين أنجبتهم الدنيا فاعتز به الشرق وازدان به تاريخ الجهاد فى الدين والوطن ٠

أتته الوزارة منقادة فأحسن القيام بشئونها وأجـــاد تصريف أمورها ، فى ولاء واخلاص وكفاية ، وانتهت اليه القيــادة فنهض بأعبائها واضطلع بمسئولياتها ، وخف الى الحرب موفور العدة مسدد الخطة فأحرز غاية النصر وبلغ قمة الظفر ·

عاصر صلاح الدين فترة المحنة الكبرى التى حلت بالمسلمين والحادثة الشنعاء التى تعرض لها العرب والشرق ، فأسرع يأخـذ بيده القوية الاسلام ويدفع بقيادته الرشيدة جيش المسلمين ، فصد الخطر ، وقضى على قوات الشر وحال دون تعديل خريطة العالم ·

ان الحديث عن صلاح الدين وعهده يقتضى باديء ذى بدء بيان أمرين :

الأول : انحلال الدولة العباسية · والثانى : أسباب الحروب الصليبية وهما الظاهرتان السابقتان لدور صلاح الدين ·

وكانت الدولة العباسية تعتمد على الموالى ، فقد قامت على يد الفرس من أهل خراسان ، وازداد نفوذ الموالى حتى قلدوا الوزارة وصارت لهم الكلمة ·· فكانت ثمة ثغرة أخذت تتسع حتى اذا انتهت حياة الرشيد ظهرت الفرقة واضحة والأزمة مستحكــــمة بين العنصرين الكبيرين اللذين تقوم عليهما الدولة ، العرب والموالى ·

وجاء المأمون فجعل طاهر بن الحسين واليا على بلاد خراسان والجزيرة بالوراثة فصارت ثمة دولة داخل الدولة ، وتحفــز الولاة الآخرون لمثل هذا الاستقلال ·

ثم جاء المعتصم يستعين بعنصر جديد غريب ، وهـــو عنصر المماليك ، من الشبان الاتراك الممتازين بالقوة والوسامة . وقيل فى ذلك انه يتحرز من الفرس الذين يأتمرون به ويبيتون لخلعه · وانه يخشى بأس العرب · وخاصة انصار العلويين ولهذا فانه أراد ان يتخذ له جندا من الاتراك ـــ وقد كانت أمه تركية ـــ فيأمن جانب المخالفين بجيش من حلفائه الجدد ؟

وغاب عن فطنة ذلك الخليفة انه يستعدى الاجانب على الاهالى وانه يتجاهل طبائع الشعوب ، فأنزل من حسابه العرب — وراح يتطلب العزوة والعصبية فى قوم أغراب لا يهمهم من أمر هذا الوطن غير منافعهم الشخصية .. ولا ضير بعد ذلك اذا دامت الدولة اودالت .

وقد عبر شاعر النيل عن هذه الظاهرة الغريبة بقوله :

واها على دولة بالأمس قد ملأت
جوانب الشرق رغدا من أياديها

لو انها فى صميم العرب قدبقيت
لما نعاها على الأيام ناعيها

ياليتهم سمعوا ماقاله عمر
والروح قد بلغت منه تراقيها

لاتكثروا من مواليكم فان لهم
مطامعا بسمات الضعف تخفيها !

وقد ظهرت هذه المطامع فعلا وتطورت حتى اصبح لأصحابها النفوذ ودانت لهم السلطة وصارت لهم أمور الدولة يصرفونها وفق اهوائهم ، بينما تلاشت العصبية العربية وضعف نفوذ الخليفة وصارت البلاد ولايات تسعى للانفصال ، وأخذ سوس الفساد ينخر فى عظام الدولة ، واصبح السلطان الحقيقى للماليك الاتراك من سنة ٢٣٢ الى ٣٣٤ هـ .

ثم ظهر عنصر جديد فى بلاد الديلم يقوده أولاد بويه الذين انتزعوا السلطان من الأتراك فى بغداد واستتب لهم الأمر بين عامى ٣٣٤ و٤٤٧ وخلفهم آل سلجوق من ٤٤٧ الى ٥٤٧ وكانت هذه الفترة الاخيرة مشحونة بالأحداث الكبرى فبدأت غارات الصليب التى استمرت مائتى سنة (من ٤٩٠ الى ٦٦٠ هـ) وكانت أهم

وقائعها « حطين » سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م ، وهى الموقعة الشهيرة التى انتصر فيها البطل الأشهر صلاح الدين ٠

لقد كان ضعف القيادة هو السبب الأول فى انحطاط الدولة العباسية ، اذ انصرف الخلفاء عن الجهاد وحكمت عناصر اجنبية ، وشاعت الفرقة وعمت عوامل الفوضى والانحلال مما اورد البلاد موارد الضياع فصارت حمى مباحا !

أما الحرب الصليبية فكانت حادثة جنون من حوادث التاريخ الشاذة جاءت من الغرب كالريح الهوجاء تذكوها النعرة الدينية وتدفعها الأطماع الأشعبية فشغلت من عمر الدهر قرنين كاملين عبأت خلالهما اوربا قوات تستظل بالصليب وتدعى حماية بيت المقدس وتنشد دحر المسلمين وقهر الوطن العربى ٠

وقد اعتبر بعض الدعاة هذه الغارات حربا دينية بفكرة انها تتجه الى الاماكن المقدسة تحمل شارات الصليب ولكن ثبت قطعا انها كانت ايضا حربا سياسية فقد ارادت الدولة البيزنطية ان تستعيد ماكان لها فى مصر والشام وفلسطين منذ فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس ، ولهذا جرت اشتباكات عديدة على مرالسنين بين « الفرنج » والمسلمين ، ومن أشهرها معركة « عمورية » التى انتصر فيها الخليفة المعتصم فى العصر العباسى الأول ثم الوقائعالتى دارت بين البيزنطيين ودولة الحمدانيين وفيها تم اخراج العرب من جزيرة كريت واستيلائهم على بعض بلاد الشام الى ان جاءت دولة الفاطميين فى مصر والسلجوقيين فى الشام فاستعادوا المدن والحصون وشددوا النكير على البيزنطيين ٠

ولهذا كانت الامبراطورية البيزنطية ترتقب الفرصة التىتستعيد فيها نفوذها وتسترجع ما كان بيدها فلما قامت حركة بطرس الراهب ونجح فى اثارة الحمية الدينية فى قلوب المسيحيين فى أوربا بمساعدة البابا أورانس الثانى ، كانت ثمة فكرتان تدفعان

الى الغارات الصليبية : فكرة شرقية تنطـــوى على أهداف عسكرية وسياسية وفكرة غربية تنطوى على الغيرة الدينية ولم تكن العلاقة بين الكنيستين تخلو من اسباب الخداع ٠

واما الاقطار الاسلامية التى يهددها ذلك الخطر فكانت موزعة بين خلافتين ، الخلافة الفاطمية فى مصر ، والخلافة العباسيـــة فى بغداد ٠ وكانت جميعا تعانى من الوهن وسوء الحكم وشـــيوع الفرقة مايغرى بالاغارة عليها واستباحة حماها ٠

وجاءت غارة الصليب الاولى فى سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٦ م) . وقد نجحت فى تكوين مملكة لاتينية فى القدس وانطاكية والرها .
وتمت الغارة الثانية فى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٧ م) فى عهـــد السلطان نور الدين محمود ولم تحقق أهدافها ٠
أما الغارة الثالثة فكانت فى سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) فى عهد السلطان صلاح الدين الايوبى الذى سدد للصليبيين ضربة قاصمة فى « حطين » .

نشأ صلاح الدين الايوبى فى بيت كريم المحتد من اشراف الاكراد وكان مولده بمدينة تكريت سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) ، وقد ذكرت بعض المصادر أن مولده صادف حادثا ذا بال ، ففى ذلك اليـــوم صدر أمر الحاكم بطرد والده نجم الدين ايوب وعمه أسد الدين شيركوه من مدينة تكريت .

ومد القدر خيوطه فاشتبكت بالأسرة المهاجرة وشدتها نحـــو عماد الدين زنكى صاحب الموصل ٠ وكان له سابق معرفة بنجـــم الدين ايوب فقربه اليه وعينه محافظا على بعلبك سنة ١١٣٩ ، ثم رحل بعد موت عمـــاد الدين الى دمشق ، وتقلب فى مناصب الجيش حتى صار قائدا لقواتها بينما أصبح صلاح الدين شيركوه قائدا فى جيش نور الدين محمود ، فلما شب صـــلاح الدين رأى والده قائدا عاما ، وعمه قائدا عاما ٠

ثم أصبح نجم الدين حاكما لدمشق ، وقرب صلاح الدين من السلطان نور الدين — سلطان الشام — الذى غمره برعايته وأثر فى شخصيته .

وكانت الدولة الفاطمية تحكم مصر فى ذلك الزمان ، وقد مالت شمس الفاطميين الى المغيب وذهب الطامعون فى النفوذ كل مذهب حتى استعانوا بأعداء البلاد ، فاستنجد الوزير الضرغـــام بملك القدس ، ولجأ « شـــاور » الى نور الدين ، الذى بعث الى مصـــر جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه . وكان صـــلاح الدين يصحب عمه فى غزواته ويتولى قيادة قسم من الجيش فأبلى البلاء الحسن، وكانت له وقائع مشهورة فى تلك السن المبكرة ، وخاصة بما وفق فيه من دفـــع الصليبيين عن الاسكندرية فى احـــدى غاراتهم البحرية .

ولم تكن ناحية القيادة وحدهـــا هى التى لفتت الانظار الى صلاح الدين فان شجاعته واقدامه وآدابه وحسن معاملته للاهالى قد جعلت له منزلة محمودة ، وقال فى ذلك أحد المؤرخين : « والذى أدهش المسيحيين من أمر صلاح الدين هو مروءته وشهامته وكرمه وحلمه ومحافظته على العهود » .

أما عن الجيش الذى دفعه نور الدين الى مصر لانقاذها ممـــا كانت عليه من فوضى واضطراب ، فقد اشتبك عدة اشتباكات مع الصليبيين فى غزوتين ، أما فى الغزوة الثالثة فقد استولى أسد الدين شيركوه على مصر بغير دماء ، وخلع عليه الخليفة الفاطمى الوزارة ، فعهد لابن أخيه صلاح الدين بمباشرة مهام الأمور .

وعلى أثر موت شيركوه ، لم يعد للوزارة غير صلاح الدين ، فصدر اليه أمر الخليفة الفاطمى فى ٢٣ مارس سنة ١١٦٩ وقـــد جاء فيه :

« هذا عهد أمير المؤمنين اليك ، وحجة عند الله لديك ، فأوف بعهدك ، وخذ كتاب أمير المؤمنين بيدك » .

وكان اللقب الذى عرف به صلاح الدين هو : « الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب » .

ولم يكن صلاح الدين حين قلد الوزارة قد أربى على الثانية والعشرين من عمره ولكنه عمر ملىء بجلائل الاعمال حافل بخبرة الحروب والقيادة والحكم . وقد استطاع بحنكته وحكمته أن يظفر بحب المصريين ، وألا يفقد ثقة نور الدين .

واخذ صلاح الدين يصلح الامور التى تعرضت من قبل للفساد ، ويسعى لتوحيد البلاد وتقوية الجيش ، واستطاع أن يرد الصليبيين الذين أغاروا على دمياط ليتخذوا منها قاعدة للزحف على مصر ، ثم خطى خطوة جريئة ليقوى بها معنويات المسلمين والمصريين فقام باغارات على حدود فلسطين ، وكان فكره مشغولا بذلك اليوم الذى يخلصها فيه نهائيا من الصليبيين .

ومد القدر خيوطه مرة أخرى .. مات الخليفة الفاطمى العاضد سنة ١١٧١ . ومات نور الدين محمود سنة ١١٧٤ . ومات آمورى ملك القدس فى نفس السنة ، فزالت غياهب وغيوم وانزاحت عقبات ضخمة كان صلاح الدين يخشى بأسها .. وفجأة خلا الجو واصبح السيد المطلق فى مصر والقائد الاوحد لجميع المسلمين .. فراح يجمع الصفوف ويحشد القوى ويستعد للذود عن حياض العروبة والاسلام .

عندما قضى نور الدين ترك مكانه شاغرا ، لان ولده الملك الصالح اسماعيل كان غلاما فى الحادية عشرة ، كذلك كان الحال فى فلسطين ، فقد ورث الملك آمورى ابنه بلدوين ، فمد صلاح الدين بصره الى المملكتين العظيمتين وكان أمله الاكبر توحيد مصر وسوريا وفلسطين وبذلك وحده يمكن انقاذ الوطن العربى ودفع الخطر الصليبى .

وقد راعه ما ساد الشام من انقسام وما اعتراه من فوضى فكتب الى الخليفة المستضيء بالله يقول : « توافت لنا الاخبار بما المملكة النورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشتت الأمـور وتقطعها ، وان كل قلعة قد حصل فيها صاحب وكل جانب قـد طمح اليه طالب ، والفرنج قد بنوا قلاعا يتخوفون بهـا الاطراف الاسلامية ويضايقون بها البلاد الشامية .. وعلمنا أن بيت المقدس ان لم تتيسر الأسباب لفتحه ، وأمر الكفر ان لم يتجـه العزم فى قلعه . والا نبتت عروقه واتسعت على أهل الدين خروقه ... وانا لا نتمكن بمصر منه مع بعد المسافة وانقطاع العمارة ، فاذا جاورناه، كانت المصلحة بادية والمنفعة جامعة واليد قادرة ، واصلحنا ما فى الشام من عقائد معتلة وأمور مختلة ، وحفظنا الولد القائم بعـد أبيه فانابه أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ويظهرون الوفاء فى خدمته .. والمراد هو كل ما يقوى الدولة ويؤكد الدعوة ويجمـع الامة » .

ومضى صلاح الدين الى ديار الشام فرحب به الاهالى وتألب عليه الحكام ! والتقى الجمعان قرب « حماه » فى معركة واحـدة انتصر فيها صلاح الدين ثم تبع المنهزمين الى حلب فبعث اليـه الملك الصالح برغبته فى وقف الحرب مع اقراره بما وصل اليـه صلاح الدين من فتوح .. وفى شهر مايو ١١٧٥ صدر اليـه أمر الخليفة بتعيينه واليا من قبله على مصر والشام .

ولم تكن هذه غاية الغايات .. ذلك لأن الصليبيين ما زالوا فى الميدان يفسدون الوحدة ويثيرون القلاقل ويأتمرون بالسلطـان الجديد فى ناحية أخرى ولم يزل بهؤلاء واولئك حتى استتب له الامر ورجحت عنده الكفة .

وكان يرى ان مصدر القوة للشرق فى « مصر » ، وأن طلعـة الجهاد تبدأ من القاهرة ، فأنشأ حولها سورا ضخما وقلعة منيعـة

كما نظم جيشا قويا مهيبا ، وكانت أمنيته أن يوفر للبلاد أسباب المنعة وعوامل القوة فتلتف حولها قلوب المسلمين وتسعى للاتحاد معها بقية الاقطار .. فتتكون قوة كبرى موحدة لقهر الصليبيين واجلائهم عن فلسطين .

وقد أجرى صلاح الدين اصلاحات عدة فى مصر والشام لتنظيم شئون الحكم وارسى عوامل السكينة والثبات، وقضى على سلطان الأمراء ، ودخل حلب فاتحا غازيا فى شهر يونيو ١١٨٣ ثم خضعت له الموصل فى شهر فبراير ١١٨٥ ، وبذلك جمع كلمة المسلمين وقضى على العاصين وأعد نفسه وبلاده للجهاد الأكبر .

كانت سياسة صلاح الدين تتلخص فى أمرين :

أولهما : توحيد كلمة المسلمين .

ثانيهما : طرد الصليبيين من فلسطين .

وقد تم له تحقيق الهدف الاول فأصبح هو السلطان غير منازع فى مصر والشام جميعا وشرع فى تحقيق هدفه الثانى وهو : دحر الصليبيين . وكان بين الطرفين هدنة نقضها الصليبيون باعتدائهم المنكر على احدى قوافل الحجاج المصريين، مما أثار سخط المسلمين ، فلما انتهى أجل الهدنة تحركت قوات صلاح الدين الى المعركة الفاصلة التى طال ارتقابها .

وفى « حطين » حدثت معركة كبرى من معارك التاريخ الفاصلة التى غيرت مصائر الخلق وحددت معالم الدول ، فقد التقت الجيوش الاسلامية المتحدة بالجيوش الصليبية المعتدية ، وقائدها يحمل « صليب الصلبوت » فهزمهم صلاح الدين هزيمة منكرة وأسر ملكهم وأسقط الصليب من يده وأمر بقتل « ارناط » الامير الصليبى ــ الذى كان شديد الخصومة للمسلمين ــ انتقاما لما حدث لقافلة الحجاج المسلمين عند مرورها بالكرك .

ولم تستطع الحملة الثالثة من حملات الصـــليب أن تغير من وقائع الأمر شيئا فقد ظهر للجميـــع مدى ما يتمتع به الســـلطان صلاح الدين من قوة ومنعة ، وكان رتشارد الاول ملك الانجليـــز (قلب الأسد) قد أعجب بصـــــلاح الدين وأدرك أن هزيمته غير ممكنة وأن اتحاد الاقطار الاسلامية قد ضـــيع الفرصة علـــى الصليبيين ، فكتب اليه يعرض شروطا للصلح لم يقبلها صلاح الدين، ورد عليه برأيه النهائى فى هذا الموضوع فى كتاب تاريخى جدير بالذكر والتقدير .

أما القدس فهو لنا كما هو لكم ، وهو عندنا أعظم مما عندكم ، فانه مسرى نبينا ومجمع الملائكة .. فلا تتصور اننا ننزل عنه ! وأما البلاد فهى لنا فى الاصل ، واستيلاؤكم عليها كان طارئا لضعف من كان فيها من المسلمين فى ذلك الحين » .

وبعد ، فهذه رسالة صلاح الدين :

وهى رسالة صالحة لايامنا هذه رغم مرور مئات السنين .

ولو اننا أخذنا بهذه الرسالة فجعلناها سياسة . لحق البلاد العربية النصر المبين .

وخلاصـــة الرسالة أو السياســـة : ان بلاد العرب للعرب وحدهم . وأن وجود الصهيونيين اليوم ظاهرة شاذة كوجـــود الصليبيين بالامس !.

وهدف الرسالة أو السياسة هو توحيد الصفوف وجمع كلمة العرب وبهذا نفوت الفرصة على الصهيونية ومن ورائها الاستعمار، ويقضى على كل نفوذ أجنبى القضاء النهائى .

حقا ان التاريخ يعيد نفسه .

وان عهدا لصلاح الدين يوشك أن يعود .

فاتح الأندلس

موسى بن نصير

« قائد لم يهزم له جيش قط .. »

قائد لم يهزم له جيش قط !

بهذا الوصف تحدثت المراجع التاريخية عن موسى بن نصير .

وأبادر فأسجل ان انتصارات القائد أو هزيمته لا تعتبر مقياسا للحكم له أو عليه ، ولا يقوم دليلا على عظمته أو ضعفه ، فرب هزيمة خير من انتصار ، وقد أحسن التاريخ وأجزل فى تكريم قادة حلت بهم الهزائم ولكنهم عاشوا فى ذمة التاريخ بين أكاليل المجد والفخار ، بينما اغفل التاريخ قادة احرزوا النصر ، وغنموا أعظم المعارك وبخل عليهم بمكان بين رجاله الامجاد وقادته المشاهير .

ولكن القول بأن موسى بن نصير قائد لم يهزم له جيش قط ، انما يعتبر ميزة من مزايا هذا الجندى العربى الغازى ، وعلامة من علامات نجاحه فى الحرب والحكم تضاف الى غيرها من المميزات والعلامات التى جعلت « فاتح الاندلس » مرموقا بالتقدير ومشمولا بعناية التاريخ ومذكورا على مر العصور بما يشرف الرجال ويرفع أقدار القادة العظام .

وان حديثنا عن موسى بن نصير كجندى من جنود الاسلام ، وقائد ظافر من قادة العروبة يجعل من الضرورى أن نقدم له بكلمة موجزة عن نشأته وجهاده والظروف التى شق فيها طريقه .

فى شمال افريقيا

نشأ موسى بن نصير فى بيت كريم المحتد ، وشب على التقى والشجاعة والفضل والنهى ، وكان والده من حرس معاوية بن ابى سفيان وله عنده منزلة ، ومع ذلك لم يخرج معه الى قتال على بن أبى طالب .. فلما سأله فى ذلك قال : لم يمكنى أن أشكرك بكفر من هو أولى بشكرك ، فقال معاوية : ومن هو : قال : الله عز وجل .

وروى عن طفولة وشباب موسى الكثير من قصص الشجاعة والامتياز ، فاشتهر أمره وذاع صيته ، ومارس الأعمال الحربية والادارية ، وقاد احدى العمليات فى عهد معاوية فغزا قبرص وبعض جزر البحر المتوسط ، وأعجب به الوليد بن عبد الملك فبعث الى أخيه عبد العزيز — وكان واليا على مصر — أن ابعث موسى بن نصير الى افريقيا ، فأرسله سنة ٨٩ هجرية ليتولى شئون العرب فى افريقيا والمغرب .

وكان فتح العرب لمصر سنة عشرين من الهجرة (٦٤٠ م) فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبقيادة عمرو بن العاص أحد أعلام الحرب والعروبة والاسلام ، فطوى بساط الدولة الرومانية ولم يقف عند حدود مصر وانما جعل منها قاعدة للزحف فى شمال افريقيا حيث التقى العرب فى عدة معارك مع فلول الرومان ، وعصابات البربر .

وقد تم لعمرو بن العاص فتح برقة وطرابلس ، ثم خلفه فى ولاية مصر عبد الله بن سعد فدفع بجيش قوامه عشرون ألف مقاتل تحت امرة قائد باسل هو عقبة بن نافع ، والى برقة ، فنازل الروم وهم يبلغون خمسة أضعاف جيشه واستطاع أن يهزمهم ويرد كيد قائدهم المشهور جريجوريس ، حاكم طرابلس ، بعد معارك طاحنة استمرت خمسة عشر شهرا .

من الخليج الفارسى الى المحيط الاطلسى

ولمـــا ولى حكم المسلمين معاوية بن أبى سفيان رأس الدولة الأموية وجه عنايته الى شمال افريقيـــا ، وكان الروم قد عاودوا الاعتـــداء وأقدموا على احداث فتن ثارت لها النفوس واضـطربت الخواطر ، فأمر معاوية بالحرب ، وتحركت قوات العرب تحت قيادة معاوية بن حديج والى أفريقيا سنة ٤٥ هجرية ، والتقى بالروم عند حصن الأجم ، وغزا عبد الله بن الزبير سوسه ، وفتح عبد الملك بن مروان حصن جالولاء .

وفى سنة ٥٠ هجرية عاد عقبة بن نافع حـــاكما على برقة ، ثم جعله معاوية حاكما لولاية افريقيا وأمده بعشرة آلاف مقاتل فأخذ فى غزو افريقيا حتى المغرب الأقصى وأخضع جميع الثغور والعواصم وهزم الروم والبربر وأنشأ مدينة القيروان وجعلها حاضرة الدولة الاسلامية الجديدة .

وذكرت المراجع القديمة أن عقبة استمر فى فتوحـــه حتى بلغ نهاية المغرب عند ساحل المحيط فدفع فرسه الى الماء حتى بلغ نحره ثم قال :

« اللهم انى أشهدك أن لا مجاز .. ولو وجدت مجازا لجزت » .

ولم يكد يستتب له الأمر حتى ثار الروم والبربر من جديد ، وأعدوا جيشا جرارا فوجىء به عقبة فانهزم العرب وقتـل قائدهم الباسل وزحف كسيلة فاستولى على القيروان وتعرضت دولة العرب فى افريقيا الى الزوال لولا أن حاكم القيروان زهير بن قيس نهض بالعبء الجسيم وبذل الجهد الجرىء حتى استطاع أن يدفـع الشر عن برقة ، فأعجب ذلك الخليفة عبد الملك بن مروان وعينه حاكما على افريقيا وأمده بجيش لجب فانتصر على البربر وقتـــل قائدهم

كسيلة وأخضع الثوار ، واستعاد القيروان ، ثم دارت الدائرة على العرب عندما دخل المعركة قوات جديدة للروم وقتل زهير وضاعت المغرب من قبضة العرب .

وفى سنة ٧٣ هجرية اختار الخليفة حسان بن النعمان واليـــا على افريقيا وسيره فى جيش كبير اخترق برقة وحاصر قرطاجنــة حتى استولى عليها ، ثم اضطر الى تركها وارتد الى القيروان حتى جاءته الامدادات فأعاد الاستيلاء عليها وهزم الروم والقوط واستعاد سلطان العرب على افريقيا حتى شاطئ المحيط .

ولكن هذا الانتصـــــار لم يكن نهائيا ، فقد أنبتت بذور الشر حملة جديدة تقودها شيـــطانة من الانس تدعى « الكاهنــة » وهى امرأة خطيرة الشأن اشتهرت بأعمال السحر واستطاعت أن تجعل لها جيشا يأتمر بأمرها وانضم لصفها خصوم العرب من روم وبربر وأخذت تغزو البلاد وتفتح الحصون وتبسط سلطانها على الساحل الافريقى خمسة أعوام طوال حتى تغيرت ظروف الدولة الاسلامية واستطاع حســـــان أن يتلقى امدادات جديدة يســـــتعيد بها زمام الموقف فهزم البربر وقضى على الكاهنة وسيطر على هذه الأنحاء بعد حروب مضنية تبادل فيها الطرفان النصر والخذلان عدة مرات .

ثم ولى الخلافة الوليد بن عبد الملك ، فاختار موسى بن نصير واليا على افريقيا سنة ٨٩ هـ .

فتح الاندلس

فتح الله على العرب بشمال افريقيا ودخل أهلها فى دين الله ، وامتد ظل الاسلام من الخليج الفارسى الى المحيــط الأطلسى ، ورنا العرب بأبصارهم عبر مضيف هرقل الى أوربا .

وكانت اسبانيا ترزح تحت الحكم القوطى الجائر مدة قرنين من الزمان ، وتئن تحت الظلم والفساد واللهو الذى اشتد أواره فى

عهد الملك « وتيكا » المشهور عند العرب باسم « غيطشـــة » وقد وصفه المؤرخون بأنه « علم اسبانيا كيف تقترف الآثام » .. وقد استمر فى طغيانه وفساده حتى أنزل عن العرش وخلفـــه الملك « أرفنج » الذى اشتهر باضطهاد اليهود ، ثم الملك « احبيســا » الذى اشتد فى حملته على اليهود ، وتبعه الملك أخيلا الذى أسقطه النبلاء والكهنة .. ثم وثب الى العرش قائد الجيش القوطى رودريك الذى عرفه العرب باسم « لذريق » .

ويروى أن لذريق سار على سنة خلفه من الملوك فأطلق لشهواته العنان واستبد فى حكمه ، فثارت عليه النفوس وعارضه بعض ذوى الشأن وأضمروا له الشر وفى مقدمتهم حاكم « ســبته » الكونت يوليان الذى أهدر لذريق شرف ابنته فلورندا – كما ذكرت المراجع التاريخية – فأقسم يوليان أن ينتقم من هذا الحاكم الفاجر ، وجمع حوله الأنصار والمتذمرين واتصل بالعرب وكاشفهم بما تعيش فيه أسبانيا من ضعف وفساد ، وأغرى موسى بن نصير بغزو اسبانيـا ووعده بالعون والارشاد .

وقد جاء فى تاريخ فتح الأندلس – لابن القوطية – أن القـــوم كانوا منقسمين ، وقد حدثت خيانة اذ انضم بعض أصحاب الشأن الى طارق ، كيدا وقهرا للذريق .

وكان موسى بن نصير تواقا لفتح جـديد ، فهو ان كان نضى على ثورة البربر وكسر شـــوكتهم الا أنه أراد أن يدفع أجناده الى عمليات جديدة وانتصارات مربحة ، وتنفيذا لذلك استولى على طنجة وولى عليها طارق بن زياد ، وأنشأ اسطولا بحريا فصار فى استطاعته رد اعتداء الروم ، بل صار له التفوق البحرى الذى جعله يهـــدد القواعد اليونانية ، وبهذا أصبح شمال افريقيا تحت لوائه من مصر الى بحر الظلمات .

واستأذن موسى خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك ، فلم يجد منه قبولا ، فأعاد الكرة وراح يزين له هذا الفتح الكبير ، ويقول انه

لا يفصله عن أسبانيا « بحر زخار ، وانما خليج منه يبين للناظر ما خلفه » .. وأخيرا وافق الخليفة بحذر ، ونصح له أن يختبر العبور قبل الاقتحام ، فأخذ موسى بهذا الرأى وبعث قوة استكشافية من خمسمائة مقاتل تحت امرة طريف بن مالك ، فعبروا من سبتة على سفن جهزها الكونت يوليان ، ونزلت هذه القوة على الشاطىء بين تهليل المستقبلين من الأهالى .

واستطاع موسى أن يعد للغزو جيشا كبيرا أغلبه من البربر وجعل قيادته لجندى باسل هو طارق بن زياد .

وأخذ طارق فى وضع خطته وتنظيم قواته التى بلغت اثنىعشر ألف مقاتل وعبر من سبتة الى الأرض الخضراء ، وقال أنه رأى فيما يرى النائم أن النبى – صلوات الله عليه – بشره بالفتح وأمره بالرفق والوفاء ، فكان هذا المنام مصدر قوة معنوية عظمى لهذا القائد الذى اشتهر أمره وخلد اسمه .

وكان لذريق بعيدا عن حاضرة بلاده فبعث اليه نائبه يستدعيه وينهى اليه بالخطب الذى حل الأندلس – أو كما قال – « وقع بأرضنا قوم لا ندرى من السماء هم أم من الأرض » ..

بيت الحكمة

نزل لذريق الى ميدان المعركة فى وادى بكة ، وهو على غاية الأهبة والأبهة ، فقد ذكرت مصادر هذه المعركة انه « حمل على سريره ، وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله ، وهو مقبل فى غاية من البنود والأعلام ، وبين يديه المقاتلة بالسلاح .. « وأقبل طارق ومعه أصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبأيديهم القسى العربية ، وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح.. فلما نظر اليهم لذريق فارقته شجاعته وتبددت نفسه وقال . أما والله ان هذه هى الصور التى رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا ..

وقصة ذلك كما ترويها الاساطير انه كان فى طليطلة بيت بهـذا الاسم ، وكان القوم يخافون على بلدتهم هـــذه من العرب والبربر فعملوا طلاسم لحمايتها وجعلوا على هذا البيت ستة وعشرين قفلا . وجاء لذريق فلم يضف قفلا جديدا كما اعتاد أن يفعل سابقوه من الملوك ورأى أن يفتح البيت ويكشف السر ، فعارضـــه أهله ولكنه أصر على رأيه ، ففتحه ووجد فيه مائدة عظيمة من ذهب وفضـــة مكللة بالجواهر ، وكتب عليها :

« هذه مائدة سليمان بن داود عليه السلام » .

ووجد فى التابوت رق معلق وفى جوانبه صور فرسان مصـورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهـــم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ، ومن تحتهم الخيل العربية ، وبأيديهـم القسى العربية وهم مقلدون بالسيوف المحلاة يعتنقون الرماح ..

وأمر لذريق بنشر هذا الرق فاذا فيه :

« متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخـل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الأندلس ، وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم » .

البحر وراءكم والعدو امامكم

دخل طارق الى ميدان المعركة التاريخية وفى رأسه فكرة جعلته معدودا بين القادة المشاهير ، وكانت خطة تنطوى على روح المغامرة والجسارة التى قال نابليون انها من علامات القائد العظيم .

لقد أحرق طارق ســـفنه حتى لا يكون هناك أمل لقـــواته فى الارتداد ، فلم يبق أمامهم سوى لقاء العدو ، والقتال حتى الموت ، وألقى على جنده خطبة مشهورة قال فيها :

أيها الناس ، أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم .

فليس والله أمامكم الا الصدق والصبر .

واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مآدب اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته ، وقواته موفورة ، وأنتم **لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أعدائكم** ، وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية لذريق ، فقد ألقت به اليكم منيته المخضبة ، وان انتهاز الفرص فيه لممكن لكم ان سمحتم لأنفسكم بالموت ، **وانى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة** ولا حملتكم على خطة أرخص مبتاع فيها النفوس الا وأنا ابدأ فيها بنفسى ، واعلموا أنكم لو صبرتم على الأشق قليلا **استمتعتم بالأرفه الألذ** طويلا .. فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما حظكم فيه أوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدرر والمرجان **والحلل المنسوجة بالعقيان المتصورات** فى قصور الملوك ذوى التيجان .. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم لمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة . وليكون مغنما خالصا **لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم** . والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين ، **واعلموا انى اول مجيب الى ما دعوتكم اليه . وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق** فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى . فان هلكت بعده ، كفيتكم أمره ومن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه ، وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله **فانهم بعده يخذلون** .

معركة وادى مكة

وقف طارق على رأس جيشه فى جانب من ميدان المعركة تحدوه معنوية قوية وروح هجومية فهو مقدم على فتح جديد لبلاد خصبة كثيرة الخيرات • وجنوده قد تمرسوا بالحرب واعتادوا الانتصار، ووقف فى الجانب الآخر لذريق ، وقد طارت نفسه شعاعا أهدا الخطر الداهم وتبدد أمله حين رأى الفتنة تعمل عملها ورجاله يكيدون له وينضمون الى خصمه • كانت القوة المعنوية فى جانب طارق والقوة العددية فى جانب لذريق وقد عبر عن ذلك رسول للذريق كاشفة بجلية الأمر فقال : قد جاءك من لا يريد الا الموت واصابة ما تحت قدميك ، فقد صرفوا مراكبهم أياسا لأنفسهم من التعليق بها واصطفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم فى أرضنا مكان مهرب » •

تحركت قوات طارق الى المعركة فاستقبلتها وحدات من فرسان القوط ودارت مناوشات قصد بها اختيار الامكانيات • كما حدث صدام فى الجناح الأيمن تراجعت له قوات لذريق ، وفى اليوم الرابع احتدم القتال وشمل الميدان كله وحدثت المكيدة وانسحب من المعركة أنصار جوليان وخصوم لذريق • واستطاعت قوات طارق أن تضرب الجناحين وتثبت أمام القلب • وكلما تقدم الوقت أخذ انتصار طارق يتضح ويتوطد ، وفر لذريق وانهزم جيشه ، وانتهت المعركة الفاصلة بعد سبعة أيام ••

وبعث موسى الى الخليفة الوليد يقول :

« لم يكن هذا فتحا كغيره يا أمير المؤمنين فان الوقفة كانت أشبه باجتماع الحشر يوم القيامة » •

وترك لنا تاريخ الأندلس صفحات باهرة فى تسجيل هذه الوقعة التى ظفرت باهتمام كثرة من الأدباء والشعراء والمؤرخين ، ومن ذلك قصيدة مشهورة جاء فيها :

ومزق جيش لذريق وخـــارت — بمن فيه العـــزائم والقلوب
وحين رأى الهزيمة فر يعدو — وحيـــدا مستكينا لا يؤوب
عليه من غبار الحرب ثوب — ومن لون الدماء بـه لهيب
وتحمل كفه سيفا خضـيبا — كمنشـــار أفلته الحروب
رأى قواده فروا وأبقـــوا — جريحا أو قتيـــلا لا يجيب
وجال بســـمعه العربى صوت — بنصر الله ردده الســـهوب

الدروس المستفادة

تعتبر هذه المعركة من أحق معارك التاريخ بالدراسة والاعتبار، وان كانت لا تدخل فى عداد المعارك التى احتدم فيها الفن الحربى أو التى تحتاج الى مناقشة الخطط والعمليات .. فهى فى الحقيقـــة معركة بين معنويات الفريقين ، وللقوة المعنوية أجل اعتبار .

كان موسى مؤمنا بأهمية دفع قواته الى معارك جديدة ، وكان واثقا من النصر على بلد منقسمة منحلة ، ومع هذا لم يتول بنفسه قيادة العمليات حذرا من أن يتطور الموقف فى غيبته ، فالمسئولية كبيرة والبلاد التى تخضع لسلطانه واسعة والثورات التى حدثت فيها كثيرة ، فجعل طارقا على رأس القوات وبقى هو فى الخلف يوالى التجهيزات ويبعث الامدادات ويحمى المؤخرة ويسيطر على الموقف حتى اذا حدث للجيش طارىء أو حلت به هزيمة فان أمر المسلمين لا ينتهى فى شمال افريقيا ما دام فى امكانه اعداد قوات جـديدة وتعويض الخسائر المتوقعة .. فليس القائد اذن هو الذى يتـــولى قيادة القوات فى العمليات فحسب ولكنه القائد الذى يدرس الموقف ويجهز القوات ويختار قائدها ويزوده بالارشادات ويعينـــه فى الأزمات ويتدخل فى المعركة بنفسه حين يحتاج اليه الموقف .

كان طارق قائدا موهوبا يعرف شعور رجاله ويقف على مزاياهم ونقائصهم ، فأراد أن يدفع فيهم الحماسة للغزو بأن أظهرهم عـــلى

خيرات البلاد ومحاسنها ، ثم قطع عليهم خط الرجعــــه بأن احرق السفن ، فلم يعد لهم سوى الاستبسال فى القتــــال ، فاما النصر المؤدى الى الخير والفخار ، واما الهزيمة المـــؤدية الى الأسر أو الهـــلاك ..

كان جيش لذريق صورة للشعب ، فحالة الفوضى والاستبداد والانقسام الذى كان عليها الشعب انعكست على الجيش فرســمت خطوط هزيمته ، وقد كانت المؤامرة التى أحدثها « يوليــــان » فى أثناء المعركه صورة لسلسلة المؤامرات التى كانت تحدث فى اسبانيا فتودى بملك بعد ملك . وهكذا تثبت الحوادث أن الشعب هوأساس الجيش ، أو كما قيل : الشعب هو السيف والجيش هو حــده القــاطع ..

وقد وضح أن المعركة لم تطل رغم ما كا نمتوقعا لها ، فقـد سقطت الأندلس فى معركة واحدة وقضت فى سبعة أيام ، ذلك لأن الروح المعنوية كانت فى جانب واحد . ولم تحدث مقاومة شــعبية وسلم الجميع بالهزيمة منذ بدأت تباشــيرها .. ذلك ان الشعب لم يكن متحدا ولم يكن راضيا عن حكامه وطريقة الحكم ، يعبر عن ذلك ما جاء فى «أخبار مجموعة » ان لسان حال الأسبان كان يقول عن لذريق :

« هذا ابن الخبيثة قد غلب على ســلطاننا وليس من أهله ، وانما كان من سفالنا ، وهؤلاء ــ يقصد العرب ــ قوم لا حاجة لهم لاستيطان بلدنا ، انما يريدون أن يملأوا أيديهم ثم يخرجوا منها ، فانهزموا بنا اذا لقينا القوم .. »

يمكن معرفة حال الجيش من مقــارنة يسيرة بين القائدين : فطارق بن زياد جندى عربى بسيط يؤمن بالله ويستبشر برؤيا رسول الله ويقاتل قوما لا يؤمنون بالله ، وهو لا يفكر فى مغنـم

وانما يقول لرجاله : « اعلموا انى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القـــوم لذريق فقاتله ان شاء الله » ..

أما لذريق فقد وصل الى الملك بالفتنة والطمع الأشعبى ، ولما ولى العرش عاث فى البلاد فسادا ، فكرهه القوم وتخلوا عنـــه فى ساعة الشدة والحرج » .

وهكذا فان القائد الذى لا يؤمن بجيشه وشعبه بل يجعل منها مطية لأطماعه هو قائد محكوم عليه بالفشل والخذلان .

ومثلما يكون القائد تكون الجنود ..

الى اوروبا

انتصر طارق فى المعركة الحاسمة التى مزقت جيش لذريق ، وبدأت عمليات المطاردة للقضاء على القوة المقاتلة ، ثم غزو المـــدن والقلاع ، واستكمال الفتح .

ونظم طارق قواته فى أربع قيادات انطلقت الى غايات متعددة ولكنها تجتمع عند خطة واحدة تهدف الى اتمام الغزو فى أسرع وقت، وسار هو على رأس القوة الأساسية قاصدا طليطلة عاصمة القوط. ودفع جيشا بقيادة مغيث بن الحارث الى قرطبة ، وانطلق الجيش الثالث الى غرناطة والرابع الى مالقة ..

ووجد موسى أن الساعة الحاسمة أقبلت لتنظيم هذا الفتـــح الجديد ووضع نظام الحكم فاستخلف ولده عبد الله على القيروان وعبر اسبانيا على رأس عشرة آلاف من العرب وثمانيـــة آلاف من البربر فقضى على المقاومات التى اعترضت طريقه وفتـــح البلدان والحصون التى قاومته حتى وصل الى اشبيلية عاصـمة الرومان ، فشدد عليها الحصار حتى استسلمت :.

والتقى موسى وطارق فى طليطلة .. وانطلقا معـا لاستكمال غزو شمال الأندلس حتى بلغا جبال البرانس .. ورنا موسى ببصره وطاف بخياله غزو أوروبا واستكمال دائرة الفتح الى القسطنطينية .. وبذلك يصبح البحر المتوسط بحيرة عربية .

وهكذا قضى موسى بن نصير على مملكة القوط قضاء تاما فى أقل من أربعة عشر شهرا وخضعت بلاد الأندلس لحكم المسـلمين ، وظهرت كفاءته الادارية اذ عالج مشاكل الأندلس الداخلية فمنحها الاستقلال ومنع الرق وحقق العدل والمساواة والحرية ونظم الادارة وأصلح أداة الحكم وأشـاع الرخاء وفتـح أبواب العلوم والآداب والفلسفة . فنعمت اسبانيا بالمدنية على يد العرب بينمـا كانت أوربا تتخبط فى ظلمات الجهل .

وهكذا أثبت القائد الذى لم يهزم له جيش قط أنه حاكم بارع وادارى حازم . وصاحب رسالة ورجل تاريخ .

وقد كانت نهاية موسى على غير ما كان يرجى له كقـائد كبير ومصلح عظيم . ولكن الأحقاد الشخصية وأهواء الملوك لا تعترف بالبطولات ولا تحترم الأعمال الجليلة . فان الخليفة سـليمان بن عبد الملك الذى وصل الى العرش بغير مجهود وجاء تلقائيا بعد وفاة الوليد لم يقدر الرجل حقه بل تلقاه بالظلم والعدوان . فحبسـه وصادر ثروته وتركه يلقى نهايته وحيدا محروما معدما . ولكن التاريخ تلقاه بالترحاب وأفرد له مكانا مرموقا بين القادة المشاهير والحكام المصلحين والرجال الذين يعيشون بعد موتهم حياة طويلة خالدة ..

الجندى الشاعر المؤلف

أسامة بن منقذ

أقبل الاستعمار الصليبى على البلاد العـــربية فى انسب الظروف التى يتطلبها العدو المغير ، الا وهى ظروف تفرق الاهل وتمزق الشمل ، فقد كان يحكم البلاد العربية خليفة عباسى فى بغداد وخليفة فاطمى فى القاهرة وامراء متعددون متنازعـــون فى بلدان سوريا ، أى انها كانت فترة ضعف وتخاذل واحتــلال ومناوشات داخلية مستمرة اوهنت قوى المسلمين وشتت شملهم وأطمعت عدوهم الذى جاء بحديده وناره يتظاهر بحمـــاية بيت المقدس ويرنو الى غزو العالم الاسلامى ٠

وكان الأمراء المتنازعون فى سوريا لايكفون عن المصـــارعة فيما بينهم وليس فيهم الا طامع فى قرينه أو متآمر على مثيله ، لايرى الحاكم منهم الا ان يستقل بامارته وان يوسع فى رقعتهـا ماوسعته الحيلة والطاقة دون ان يفكر فى أمر البلد كله وفى توفير اسباب العزة والمتعة للوطن الاكبر ٠٠ ولهذا تعددت الامـارات وتكاثرت الاعلام والشعارات فى دمشق وحلب وانطاكية وحماة وشيرز وحمص ، واشتد الخلف بين هذه الفرق الطامعة المتنازعة وضاعت الوحدة وسرى الاغلال ووهنت القوى فى الوقت الـذى كانت جيوش الصليبيين تنهب ارض العروبة وتدق معاقـــل الاسلام ٠

نجحت الحملة الصليبية لانها لم تجد بلادا متحدة ذات سياج صعب ، ولم يصادمها جيش موحد له هدف واحد ، فكانت الرحلة سهلة والحملة ميسرة والمقاومة محدودة فسقطت انطاكية فى ايدى الصليبيين سنة ١٠٩٨ ثم بيت المقدس فى السنة التالية واستمر الغزو الصليبى فسقطت طرابلس سنة ١١٠٩ ورحل اهلها ولجأوا الى شيرز التى أصبحت هى الهدف ، فلما تقدمت منها القوات الأجنبية سارعت تطلب المفاوضة وترضى بالجزية والرهينة وتشترى سلامتها بعشرة آلاف دينار .

انتهى بيت المقدس الى الصليبيين وحلت المحنة بسوريا المتفرقة وأشتد الخطر على بغداد والقاهرة وتعرض العالم الاسلامى للضياع ولكن فى بوتقة الحرب تنصهر النفوس ، وفى سواد المحنة يلمع بارق الأمل ، فقد وضح لكل ذى عينين ان المنازعات الداخلية أوهنت القوى وان اختلاف القوم ضيع العزم ، وانه لامنقذ للبلاد غير الاتحاد فتثب جميع الجيوش التى تعمل فى حملات داخلية الى جبهة واحدة متساندة وتقف فى صف واحد ضد الغزاة المعتدين .

وكانت شيرز فى مقدمة الولايات المقبلة على الوحدة ، وقد هبتها الطبيعة قلعة حصينة فى حضن نهر العاصى ، وحصنها امراؤها بالاستحكامات والخنادق فازدادت قوة ومنعة ، وزاد من قوتها ومنعتها ان اهلها ـ بنى منقذ ـ كانوا اهل فروسية وشجاعة ، وضعهم الاصفهانى صاحب (خريدة القصر وجريدة أهل العصر) بأنهم أهل بيت المجد والحسب ، والفضل والأدب ، والحماسة والسماحة ، والحصافة والفصاحة ، والفروسية والفراسة والامارة والرياسة ..

وكان امير شيرز فى فترة المحنة مجد الدين بن منقذ (١٠٨٦ ـ ١١٢٧ م) ولكنه كان ينكر الخلاف والفرقة وينأى عن الأطماع

والغزوات ويعكف على هوايتين اشتهر بهما وهما الصيد وتلاوة القرآن ، ولذلك آثر ان يتنازل عن الامارة لاخيه عز الدين ابى العساكر سلطان ، وفى عهده عاود الصليبيون الهجوم على شيرز فاستنجد بعماد الدين زنكى صاحب الموصل الذى هب لنجدته فتحول الصليبيون عنها ، ولكن الخضر لم يرحل بصفة نهائية مادام جاثما فوق أرض عربية .

وكانت نصيحة ابى العساكر سلطان حين حضرته الوفاة :
الوحدة :

قالها نثرا وشعرا ، وهو يستعرض الخطوب المحيطة بالاسلام ويتوجس شرا من الجيوش الصليبية المحتلة الوطن العربى ،ويخشى ضياع لأهل والوطن :

ابنى لست بعالم ما أصنع   بكم اجمع شملكم أم أصدع
وأبوكم من ليس بنكر انه النـ   ـدب الكمى الألمعى الأروع
زاد الجيوش برأيه وبسيفه   عن شيرز فتفرقوا وتصدعوا
قد رد عنها الروم والأفرنج   والأتراك والأعراب حين تجمعوا
أوصيكموا تبقى الذى أعطاكموا   ملكا تذل له الملوك وتخضع
وبحفظ بعضكموا لبعض ماغدا   نجم يفور بأفقه أو يطلع
لا تشمتوا بكم الوشاة وحاذروا   أقوالهم فهى السمام المنقع

.. وكانت هذه النصيحة من الشيخ الفانى المجرب تمثل الصيحة الجديدة التى دوت فى البلاد العربية مطالبة بالوحدة داعية الى تجميع القوى لدفع الخطر الصليبى وطرد الجيوش الأجنبية المحتلة .

وتجمع الأمل فى عماد الدين بن زنكى اقوى حكام ذلك العصر واكثرهم ايمانا بالوحدة ، وقد استطاع عماد الدين ان يستميل القلوب بمسلكه الحميد وان ينعش الامال بانتصاراته المتابعة فى معاركه ضد الصليبيين حتى صار بحق « زعيم جيوش المسلمين » .

وأخذ عماد الدين يوسع دائرة زعامته ويضم اليها ـ بالاتفاق أو بالخناق ـ الولايات المتناثرة ، ويستحوذ على النفوس الثائرة ويحظى باعجاب وحماسة الشباب المجاهد ٠

وكان في مقدمة المتحمسين للوحدة العربية الداعين للجيش العربى الموحد فتى من شيرز ، من بيت الامارة والفروسية والنجدة، هو : أسامة بن منقذ ٠

كان مولد أسامة فى عام ١٠٩٥ وعاش قرنا كاملا من الزمان حاملا بالاحداث الكبرى والخطوب المتتابعة على الوطن العربىالاسلامى اى ان اسامة فتح عينيه على مطلع القرن السادس الهجرى ـ قرن الحروب الصليبية ـ وأفضلهما فى خاتمته ، وقد زالت الغمة وانقشعت النائبة ، ولمع بارق الوحدة العربية ، واستطاع الجيش العربى الموحد بقيادة صلاح الدين الايوبى ان يقهر الصليبيين وان يرفع راية الاسلام والعروبة ٠

كان اسامة بن منقذ فارسا فى الخامسة عشرة من عمره ، وقد شب على صهوة الجواد فشارك والده هواية مصارعة الوحوش فى حلبة الصيد ، ثم اشترك مع عمه وقومه فى دفع عدوان الصليبيين فى ساحات المعارك ، وعاش فترة فى الأسر رهينا فى حلب ، ثم لزم عماد الدين بن زنكى فى حملاته ، وشارك نور الدين فى معاركه وأخيرا شهد جولات صلاح الدين وادرك نهاية الصليبيين فى حطين ٠

نشأ البَطل العربى المناضل فى كنف الدين والفروسية ، حيث كان والده مجد الدين يعكف على قراءة القرآن ونسخه ويقضىوقت فراغه فى الصيد ، وقال اسامة فى ذلك « مارأيت الوالد ـ رحمه الله ـ نهانى عن قتال ولا ركوب خطر » وكانت والدته جسورة تشترك فى الدفاع عن الديار وتوزع السلاح على المحاربين ، وكان معلمه ابوعبد الله الطيطلى ـ سيبوية زمانه ـ يعلمه الكتاب والحكمة وقد قرأ عليه كتاب النحو لسيبوية ، وكتاب الخصائص لابن جنى

وكتاب الايضاح لابى على الفارسى ، وكان عمه ـ ابو العساكر سلطان ـ يكلفه اعمال الشجعان .. وبهذا نشأ اسامة وفى نفسه التقى والورع ، والشجاعة والبسالة ، والعلم والثقافة .. كذلك عرف منذ بداية حياته كراهيته للاستعمار ومارس مبكرا شرف الدفاع عن الوطن .

وعندما سطع نجم عماد الدين زنكى واقترن اسمه بالوحدة وتجمعت حوله الآمال لقهر الصليبيين واستعادة شأوالمسلمين سارع أسامة فرحل عن بلده واتصل بعماد الدين والتحق بجيشه وحارب فى صفوف قواته .

وفى قيادة عماد الدين لمع اسامة كقائد شاب مغوار ، ولكنه لم يستمر فقد اجتذبته السياسة وخدعته الفطانة فبدأ عدةمناورات ومؤامرات جعلته اثيرا لدى معين الدين وزير شهاب الدين حاكم دمشق وسجل التاريخ له صفحات ليست مما تشرف تاريخه الحافل بالجهاد والبسالة وفى تلك الحقبة من الزمن التى اختلت فيه الموازين واضطربت النفوس ، كان أسامة يخادع خصوم صاحبه ويستعدى عليه الصليبيين وتلك كانت قمة المأساة فى حياته وفى حياة الوطن العربى اذ يستعين الحاكم ضد زميله بأعداء الوطن ، واذ لا يعجل هؤلاء المتخاصمون بتصفية ما بينهم من خصومه ولا يقفون حمى الأطماع والأحقاد بينما العدو واقف لهم بالمرصاد يفيد من خلافاتهم ويسير على أشلائهم ويحقق فى كل يوم نصرا جديدا .

خدعت السياسة أسامة ثم خذلته، فقد ماكان له من ثقة ونفوذ فى دمشق ، فتركها نازحا الى مصر مع عدد كبير من اهله وبطانته وهناك لقى ترحيبا واعظاما من الخليفة الحافظ لدين الله الذى أنزله بدار الأفضل ـ دار الوزارة فى عهد الفاطميين ـ وأقطعه ارضا واسعة من أعمال قليوب « كوم اشفين »

وكانت الحالة فى مصر كثيرة الفوضى والفتن ، وكان الصراع على اشده بين المتكالبين على الحكم والطامعين فى السلطان والثروة، وأشتد الصراع على اثر وفاة الخليفة الحافظ وولاية الخليفة الظافر الذى قال عنه ابن خلكان :

« كان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع المغانى »

ويبدو ان السياسة قد اخذت بلب اسامة فقام بنفس الادوار التى قام بها وفشل فيها اثناء وجوده فى دمشق ، فشارك فيما كان يجرى من مؤامرات ودسائس انتهت بمقتل الخليفة ، وكره المصريون اسامة فهاجر من مصر وعاد الى دمشق .

وفى تلك الاثناء كان نور الدين يحمل لواء الوحدة العربية وقيادة الحملات ضد الصليبيين والتقت عنده الآمال والتفت حوله القوات المبعثرة التائهة .

واستقر أسامة حينا من الدهر فى كنف نور الدين ، وكان لصلته بالملك الصالح — فى مصر — مايجعله واسطة العقد بين الطرفين ، وكان الملك الصالح يرنو الى دفع نور الدين لقتال الصليبيين فى الشمال فتخف الوطأة عن مصر ويشتد بأسها ، وقد اشترك أسامة بن منقذ فى عمليات نور الدين رغم تقدمه فى السن وقالت عنه مصادر تلك المرحلة انه كان من الشجاعة فى الغاية التى لامزيد عليها ..

ثم بارح أسامة دمشق الى ديار بكر عام ١١٦٤ وقد تكاثرت عليه الهموم وأضناه كبر السن ، فآثر شيئا من الراحة وأقبل على القراءة والتأليف فى عزلته فى حصن « كيفا » ..

ولكن هدأته لم تطل ونازعته نفسه الى الجهاد عندما اشتد اوار المعركة بين المسلمين والصليبيين ، ولم تحل سنه المتقدمة — وهو فى عقده الثامن — دون الثورة الوطنية المتقدمة فى اعماقه ،

فدعاه صلاح الدين عندما دخل دمشق سنة ١١٤٧ وكان يستشيره ويستنير برأيه ·

وقد سجل اسامة اعجابه بصلاح الدين شعرا ونثرا ، ووضعه بانه السلطان الذى احيا سنة الخلفاء الراشدين واقام عمود الدنيا والدين ·

يا ناصر الاسلام حين تخاذلت ... عنه الملوك ومظهر الايمـــان
بك قد أعز الله حزب جنـوده ... وأذل حزب الكفر والطغيـــان
جردت سيفك فى العدا لا رغبة ... فى الملك بل فى طاعة الرحمـن
فضربتهم ضرب الضرائب واضعا ... بالسيف ما رفعوا من الصلبان

·· وضمن اسامة حياته فيما سجله فى اخريات ايامه ،قال:

فكم لقيت من الأهوال ، وتقحمت المخاوف والأخطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الأسود ، وضربت بالسيوف ، وطعنت بالرماح ، وجرحت بالسهام ·· وأنا من الأجل فى حصن حصين ، الى أن بلغت تمام التسعين ·

ثم بكى لموته حتف أنفه وليس فى ميدان الحرب ·

« ان الهلاك فى كنف الجيش أسهل من تكاليف العيش » ·

فالقتل أحسن بالفتى من قبل أن
يفنى ويبليه الزمان ، وأجمل

* * *

العدد السادس

دراسات فى الإسلام

تصدر فى منتصف كل شهر عربى

الجاحظ

الدكتور احمد محمد الحوفى

يصدر عن

المجلس الأعل

للشئون الإسلا

فى ١٥ من جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ

الثمن ٥ قرو

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)